رسالة نحوية في "لو" الشرطية

ويليها

مجموع رسائل

للشيخ الطيب عبد المجيد بن كيران الفاسي

المتوفى ١٢٢٧هـ

دراسة وتحقيق

بوصلاح فايزة

دار الكتب العلمية®
Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
DKi
أسسها محمد علي بيضون سنة 1971 بيروت - لبنان
Est. by Mohammad Ali Baydoun 1971 Beirut - Lebanon
Établie par Mohamad Ali Baydoun 1971 Beyrouth - Liban

Title	: **RISĀLAH NAHWIYYAH FĪ «LAW» AL-ŠARṬIYYAH**	رسالة نحوية في «لو» الشرطية ويليها: مجموع رسائل	**الكتاب** :
Classification:	Syntax	نحو	**التصنيف** :
Author	: Al-šayḫ al-Ṭayyib ʿAbdul-Majīd ben Kīrān	الشيخ الطيب عبد المجيد بن كيران	**المؤلف** :
Editor	: Bouslah Faiza	بو صلاح فايزة	**المحقق** :
Publisher	: Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah	دار الكتب العلميـــة - بيروت	**الناشر** :
Pages	: 160	160	**عدد الصفحات** :
Size	: 17*24	17*24	**قياس الصفحات**:
Year	: 2010	2010	**سنة الطباعة** :
Printed in	: Lebanon	لبنـــان	**بلد الطباعة** :
Edition	: 1st	الأولى	**الطبعة** :

ISBN 978-2-7451-6902-0
ISBN 2-7451-6902-5

" علم النحو "

إنمـــا الـــنحو قـــياس يتـــبع — وبـــه فـــي كـــل أمـــر ينـــتفع
فـــإذا مـــا أبـــصر الـــنحو الفتـــى — مـــر فـــي المـــنطق مـــرا فاتـــسع
وإذا لـــم يعـــرف الـــنحو الفتـــى — هـــاب أن يـــنطق حـــسنا فانقمـــع
يقـــرأ القـــرآن مـــا يعلـــم مـــا — صـــرف الأعـــراب فـــيه وصـــنع
فتـــراه يخفـــض الـــرفع ومـــا — كـان مـن نـصب ومـن خفـض رفـع

الكسائي

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المحقق

إن هذا العمل المتواضع إنما هو في الحقيقة جزء من البحث في تراث الفكر الأدبي الانساني عموما والعربي الإسلامي على وجه الخصوص، فتلك الخزائن والمكتبات التي تحوي تراث أجدادنا وآبائنا؛ تعكس انتماءنا العربي الاسلامي من جهة، وتثبت ذاكرتنا التاريخية والأدبية وتراث الشيخ الطيب عبد المجيد بن كيران جزء من هذه الذاكرة التاريخية التي تعد موروثا علميا للحضارة العربية الاسلامية يطيب لها خاطرا أن تزخر به وأن تحظى باهتمام واضح من أبناء جلدتها من الباحثين والمهتمين وغيرهم، فهذه الحتمية العلمية توجب علينا أن نكرس جهودنا وأن نشمر عن سواعدنا في إبراز هذا التراث الأدبي لاسيما النحو منه حصرا، فبه تعرف مبهمات العلوم ومقفلاتها.

وإن كان هذا الزخم الكبير من نفائس المخطوطات كالرسائل النحوية واللغوية والأدبية وغيرها...ينتظر من ينفض الغبار عنه بنشره ودراسته وتحقيقه؛ ومن ثم جعله في متناول الباحثين والمختصين لمراجعته وتقييمه. فلا بدّ إذن من القيام بعملية نشر هذا التراث كخطوة أولى حتى لا يبقى حبيس الرفوف، وهكذا يمكننا التواصل مع غيرنا من المهتمين بفنون العلم المختلفة.

وإذا كان هذا هو واقع تراثنا العلمي في كامل بقاع الأمة الإسلامية، فإن قسما هاما من التراث المغاربي يحوي في طياته معلومات قيمة وغايات أسمى تعكس البيئة المغربية التي ساعدت على خلق جو وفضاء أدبي وعلمي، ساعد هو الآخر على بروز طاقات من علماء تخصصوا في فروع مختلفة من العلوم العربية؛ وعلى هذا الأساس فإنه ينتظر العناية من ذوي الاختصاص أو غيرهم بالدراسة

والتحقيق، لمساعدة الباحثين على فهم الواقع الأدبي الذي يعكس لا محالة الواقع المعاش خلال تلك الحقبة التاريخية من الزمن.

ومن هنا كانت محاولتنا اجتهاداً يراد به رد الاعتبار إلى تراثنا العربي الاسلامي عموما، والتراث المغاربي خصوصا؛ إيمانا منا بأنّ السعي وراء تحقيق هذا التراث يخدم بشكل أو بآخر ثقافتنا العربية الاسلامية ومكوناتها؛ أو فهم العقلية والذهنية المغربية التي كانت عليها آنذاك.



دوافع التحقيق

إنّ تجربة تحقيق التراث مسألة ليست بالهينة على المختصين أو المنتمين إلى حقل من حقولها؛ فهي تستوجب صبرا وتحملا بداية من جمع النسخ المعتمدة في التحقيق مرورا برقنه وتصفيفه فإخراجه على الوجه الملائم. ثم إن من أهم دوافعنا في تحقيق ودراسة رسالة " لو الشرطية في النحو للشيخ الطيب عبد المجيد بن كيران الفاسي" وبعض رسائله في فنون مختلفة، إنما هو إبراز لتراث الرجل الذي يعتبر من كبار المحققين في مجال النحو وعلومه، وفي علوم أخرى.

ثم إن المحتفى به متضلع في الأمور والمسائل المتعلقة باللغة العربية وعلومها لذا كان انتاجه في غالبيته ينتمي إلى حقل الآداب واللغة العربية؛ وهذا ما تشهد عليه مؤلفاته في النحو والصرف والاستعارة والمجاز وغيرها...

ونحن إذا نشحذ همة البحث وطاقة العقل العربي عموما والمغربي على وجه الخصوص؛ في إخراج هذه التحفة الأدبية النحوية "**رسالة لو الشرطية**" للشيخ الطيب عبد المجيد بن كيران الفاسي، لنؤكد على أهمية الاهتمام بآثار من سبقونا، والاعتناء بإخراجها ونشرها، حتى يعرف جيلنا اليوم ذلك الرصيد المعرفي واللغوي النحوي والأدبي الذي أثله علماؤنا خلال مسيرتهم العطرة. وبخاصة علماء المغرب الذين بلغت مدوناتهم صيت المعمورة من جهة؛ وقساوة العامل الطبيعي والبشري التي تعانيه تلك الذخائر والنفائس القيمة من المخطوطات.

توطئة

لقد اهتم بعض العلماء الباحثون العرب مشارقة كانوا ومغاربة، بعلوم اللغة منذ بداية الحركة العلمية في إطار الدولة الإسلامية وفي حقبها المختلفة، فكانت لهم جهودهم في مجالات الأصوات وبناء الكلمة وبناء الجملة والمفردات وتبيان معاني الحروف. وكان المشتغلون بعلوم اللغة يُصنَفون إلى مجموعتين: المجموعة الأولى وتهتم ببنية اللغة، والمجموعة الثانية تهتم بمفردات اللغة ودلالاتها.

ومن هنا وُصِفَ مجال بحث المجموعة الأولى بأنه " علم النحو" أو " علم العربية "، بينما وصف مجال بحث المجموعة الثانية بأنه "علم اللغة"، أو "فقه اللغة" أو" متن اللغة ". وهي كلها أوصاف تؤدي المعنى ذاته.

وإلى جانب هذه المصطلحات، ظهرت إلى الوجود دراسات حثيثة لوصف علوم اللغة مجتمعة، فسميت " علم اللسان " أو" علوم اللسان العربي" أو" علوم الأدب " أو " العلوم العربية "، كما وجُدت إلى جانب هذا محاولات لبيان ترابط هذه الأفرع وإيضاح النسق الذي يتخذه كل منها في إطار البحث اللغوي العام.

وتكون مخطوطات النحو والصرف عموما رصيدا من أكبر الأرصدة المحفوظة بالخزائن العامة بالمملكة المغربية والمكتبة الوطنية الجزائرية؛ إلى جانب المكتبات الخاصة. وليس هذا بغريب إذا ما علمنا بمدى حرص واهتمام المغاربة وتعلقهم بعلم النحو في العصور السابقة. وبالرغم من كون النحو من العلوم الآلية، فإن مكانته في نفوس المغاربة أكبر بكثير من غيره؛ بل تضاهي في أغلب الأحيان العلوم الفقهية الأساسية؛ إذ كيف لا وأن فهم الأمور الفقهية لا يتأتى إلا بفهم المصطلحات النحوية واللغوية لكل عبارة أو مفردة هذا من جهة.

ومن جهة أخرى تلك الحلقات العلمية التي كانت تقام في المساجد والمدارس وفي حضرة الخلفاء والملوك والسلاطين، والتي كانت ترتكز أساسا على علم النحو والفقه والحديث. ولم تكن عبارة " الألفية وسيدي خليل" متداولة من باب العبث بين طلاب الكتاتيب؛ بل تعكس شغف المغاربة واهتماماتهم المتواصلة

بعلوم الشريعة وعلوم القرآن وما يسبح في فلكهما.

"إن النحو من خير العلوم التي صرفت إليها الهمم، وأسمى المعارف التي أمها العلماء وتدارستها الشعوب والأمم حتى لقد عدّ في طليعة علوم الآلة التي تيسر أخذ العلوم الشرعية والرجوع إليها، واعتبر كتاب سيبويه "قرآن النحو"، وكان الناس يختمونه كختم القرآن. وكانت حلقات العلماء منذ بدء التاريخ الإسلامي تترصع بالمحاضرات في النحو إلى جانب التفسير والحديث والعلوم الأخرى.

ولما كان الأمر على هذا الحال صار النحو واجبا رئيسا، تستهل به درجات المتعلم، وترصع به عالمية العالم، بل وأصبح الضبط والشكل ملازمين لكل الكتب التي يخشى من الناس أن يخطئوا فهمها، ويحرفوا أبعادها ومقاصدها. والتاريخ حمال صدق هذا الكلام، إذ شحنت مدوناته بمدارس النحو وكثرة أعلامها، وأشهرها وأبرزها مدرستا البصرة والكوفة، وبينهما اختلافات، هي امتداد للاختلاف في علوم شرعية أخرى". فالبصرة سابقة إلى هذا الفن دون سواها، وكانت تقترح وضع قواعد عامة للغة مع درء الشواذ، وعدم القياس عليها، أما الكوفة فرأت أن تحترم كل ما جاء عن العرب وجعل الشذوذ أساسا لوضع قاعدة عامة للغة.

وأما بلاد الغرب الإسلامي فحاولت اتمام المسيرة ومواصلة الطريق في مجال النحو، حيث بزغ فيه خيرة الأعلام الذين وسعوا هذا العلم وأضافوا إليه آراءهم واستنباطاتهم وزودوه اجتهاداتهم؛ حتى غدا يسمى باسمهم. من بينهم ابن مالك صاحب الألفية.

وعلى هذا الأساس "فالنحو هو الآلة التي لا يمكن فهم النصوص فهما سليما بدون التمكن منها واستيعابها استيعابا شاملا". من هنا تعددت المؤلفات وكثرت الشروح والحواشي المتعلقة بالنحو ومنظوماته على غرار ما عرف بالنسبة لألفية ابن مالك. ولذا فلا تكاد تخلو أي خزانة سواء كانت عامة أو خاصة من رصيد هؤلاء المغاربة في مجال النحو، وهو إيمان واضح من لدن المغاربة واقتناعهم بضرورة الفهم السليم لنصوص الكتاب والسنة أولا، ومن ثم فهم

نصوص الفقهاء والمفسرين والمؤرخين.

إن عناية المغاربة بعلم النحو "ميزة وضعتهم في مقدمة الشعوب العربية الأصيلة التي عملت على حفظ لغة الضاد، مما يمكن أن يشوبها من الهنات، ويصيبها من الأخطاء، لتستمر إلى النهاية بالشكل الذي كانت عليه في البداية من صفاء وجلاء وبيان".

ومن هنا حاولنا الوقوف على مخطوط في علم النحو للشيخ الطيب عبد المجيد بن كيران في مسألة «لو» الشرطية وما تعلق بها، خصوصا وأن هذا الشيخ يعد من جملة عمدة العلماء المغاربة الذين أثروا البحث والدرس النحوي المغربي.

وهران في:27 محرم 1431هـ/13 يناير 2010م

الأستاذة: بوصلاح فايزة

النحو علم العربية

لقد أطلق علماء اللغة على دراسة بنية اللغة من جوانبها الصوتية والصرفية والنحوية في التراث العربي اسمين اثنين، هما النحو، وعلم العربية، ويرجع مصطلح النحو إلى القرن الثاني الهجري، وظل مستخدما لوصف هذا المجال من مجالات البحث إلى يومنا هذا. لقد صُنّف كتاب سيبويه بأنه كتاب في النحو، ووصفه أبو الطيب اللغوي (ت 351هـ) بأنه "قرآن النحو " كما وصف سيبويه بأنه " أعلم الناس بالنحو بعد الخليل "[1].

يعد سيبويه صاحب أقدم وأضخم كتاب وصل إلينا في النحو العربي من حيث دلالته ومعاني حروفه ومواقعها من الإعراب، فقد يصف بعضهم بأنّ كتابه لم يقسم كتابه إلى موضوعات كبرى متميزة، وإنما اكتفى بحشد الأبواب الكثيرة متتابعة. حيث بدأ كتابه "بقضية الإعراب والنقل منها إلى عدد من القضايا الخاصة ببناء الجملة، وعندما تحول بعد ذلك إلى الأبواب الخاصة بالأبنية الصرفية وجد لزاما عليه أن يفسر بعض الأبنية في ضوء البحث الصوتي فجاءت الأبواب الخاصة بالأصوات في آخر كتابه. لم يضع سيبويه مصطلحات تميز في وضوح قطاعات الأصوات وبناء الكلمة وبناء الجملة، فكل هذا يدخل عنده في مجال واحد هو مجال النحو".

وظل الباحثون في القرون الأولى للهجرة يستخدمون مصطلح النحو في أكثر الأحوال بهذا المعنى العام. فعلى حسب تعريف ابن جنّي(ت 391هـ)[2] فإنّ النحو يضم المجالات التالية: الإعراب، التثنية، الجمع، التحقير، التكسير، الإضافة، النسب، التركيب، وغير ذلك[3]. فالنحو يضم عند ابن جني هذه الدراسات التي

---

(1) أبو الطيب اللغوي، مراتب النحويين، ص: 65.

(2) انظر ترجمة ابن جني في: معجم الأدباء، ج12، ص ص: 81 - 115.

(3) ابن جني، الخصائص، ج1، ص: 34، وتعريف ابن جني للنحو: " النحو هو سمت =

تصنّف الآن في إطار بناء الكلمة إلى جانب ما يتعلق ببناء الجملة.

ويتناول علم النحو عند أبي حيان الأندلسي " معرفة الأحكام للكلم العربية من جهة إفرادها ومن جهة تركيبها"[1]، أي أنه يبحث بنية الكلمة المفردة وعلاقات الكلمات في الجملة.

وظلت هذه الفكرة سائدة لدى كثير من النحويين[2]، لقد ألف ابن الحاجب (ت646هـ) كتاب" الكافية" في النحو تناول فيه القضايا الخاصة بالإعراب وبناء الجملة بينما خصّص لبناء الكلمة كتاباً آخر هو " الشافية" ولكنه على الرغم من هذا التقسيم ظل ابن الحاجب يعتبر " التصريف " قسماً من النحو[3].

في حين أن هناك من استخدم كلمة النحو بمدلول أضيق، بحيث قصروا استخدام هذه الكلمة على البحث في بناء الجملة. [4] وهناك مصطلح آخر وصف به البحث في بنية اللغة، وهو مصطلح " العربية" أو " علم العربية ". حيث نرى هذه

=

كلام العرب في تصرفه من إعراب وغيره كالتثنية والجمع والتحقير والتكسير والإضافة والنسب والتركيب وغير ذلك ليلحق مَنْ ليس مِنْ أهل اللغة العربية بأهلها في الفصاحة.

(1) أبو حيان، البحر المحيط، ج1، ص ص: 5 - 6. وانظر كتاب: أبو حيان النحوي لخديجة الحديثي، ص: 313.

(2) فكرة أنّ النحو يتناول كل ما يتعلق بالكلمة والجملة.

(3) انظر: شرح الشافية للاستراباذي، دار محيي الدين، ط1975، تعريف النحو عند الأشموني " العلم المستخرج للمقاييس المستنبطة من استقراء كلام العرب الموصلة إلى معرفة أحكام أجزائه التي ائتلف منها، انظر: شرح الأشموني على الألفية، دار النهضة بالقاهرة، ط1955، ج1، ص: 5. ولكن مضمون البحث النحوي كما يتضح من الألفية عبارة عن أحكام الجملة والكلمة، وقد ذكر التهانوي التعريف التالي للنحو: " علم يعرف به كيفية التركيب العربي صحة وسقاما وكيفية ما يتعلق بالألفاظ من حيث وقوعها فيه"، انظر: التهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون، 1ج، ص: 23.

(4) قارن أيضا تعريفات النحو عند أبي حيان النحوي في الإدراك ط استانبول 1309هـ ص 66، والبحر المحيط ج5/1 - 6، وعند ابن خلدون في المقدمة، ص: 1254.

المصطلحات كائنة في مؤلفات القرن الرابع الهجري، فابن النديم وابن فارس مثلا يستخدمان مصطلح العربية بمعنى النحو. فعندما نوقشت قضية أولية التأليف في النحو نجد عندهما العبارة التالية: "أول من وضع العربية... "[1]، وظل استخدام هذين المصطلحين في كتب المشارقة في القرون التالية يمثل ظاهرة فردية محددة، على نحو ما نجد في مؤلفات ابن الأنباري (ت 577 هـ)، على خلاف المغاربة والأندلسيين الذين يحبذون تسميته " علم العربية ".

وممّا تجدر الإشارة إليه أنّ أبا البركات بن الأنباري استعمل مصطلح العربية في مواطن كثيرة بمعنى النحو. وهو ما نجده في تراجم كثير من العلماء، فعند يونس بن حبيب مثلا يلتقي " طلبة العربية وفصحاء الأعراب "[2]. ومرتضى الزبيدي " أخذ علم العربية من أبي عمرو بن العلاء وعبد الله بن إسحق الحضرمي والخليل بن أحمد "[3]. كما وصف ابن الأنباري كتابه الإنصاف بأنه " أول كتاب صنف في علم العربية "[4] حول القضايا الخلافية، [5].

وسمىّ ابن الأنباري أحد كتبه في النحو" أسرار العربية ". ولكن استخدام مصطلحي العربية وعلم العربية بمعنى النحو يعد ظاهرة محدودة الانتشار عند المشارقة مثل ابن الأنباري.

على خلاف المغاربة وأهل الأندلس فهناك نصوص كثيرة توضح تفضيلهم لمصطلح "العربية"، ففي القرن الرابع الهجري ذكر الزبيدي (ت 379هـ) في تراجمه

(1) نزهة الالباء، ص: 47. انظر الصاحبي في فقه اللغة لابن فارس (ط بيروت) ص ص: 38 - 66. والفهرست لابن النديم (ط فلوجيل)، ص: 39، ونفس العبارة في نزهة الألباء (ط القاهرة د. ت) ص: 4.

(2) نزهة الألباء، ص: 47.

(3) نزهة الألباء، ص: 205.

(4) انظر مقدمة كتاب " الإنصاف في مسائل الخلاف " (ط القاهرة، 1961)، ص: 5.

(5) وكم هي كثيرة خصوصا معاني ودلالات الحروف، مثل: لو الشرطية ومعانيها، وهي الدراسة التي نحن بصدد نشرها.

لكثير من علماء الأندلس المغرب مصطلح " العربية" بمعنى النحو. فإذا كان إخواننا المشارقة قد كتبوا عن " النحو " و" اللغة "، فإن الزبيدي قد ذكر في مواطن كثيرة " العربية " و" اللغة "[1]. و" العربية " أو" علم العربية" عند الزبيدي مصطلحان دارا كثيراً في مؤلفاته بمعنى النحو[2]. إن المتمعن لمصطلحي " العربية " و"علم العربية " عند الزبيدي يلاحظ أن استخدامهما ليس سمة فردية خاصة، فالمصطلحان وردا في كتب مغربية وأندلسية كثيرة[3]، كما وردا في تراجم أندلسية تناقلتها كتب الطبقات[4]. كما نجد في مواضع كثيرة لدى ابن خلدون توضح أن المغاربة والأندلسيين

(1) انظر العبارات التالية للزبيدي في "طبقات النحويين واللغويين"حيث نجد التقابل بين "(علم) العربية " بمعنى النحو" (علم) اللغة " بمعنى بحث المفردات:
- " كان يستفتي في الكلمة من اللغة والمسألة من العربية، ص: 281.
- " كان من أهل العلم بالعربية واللغة "، ص: 287.
- " جلب إلى الأندلس علماً كثيراً من الشعر والغريب والعربية والأخبار، ص 289.
- " كان أستاذاً في علم العربية واللغة، ص: 294.
- " من أهل العلم بالعربية والحفظ للغة " ص: 209، وكذلك ص: 312.
- " كان مؤدبا عالما بالعربية، وكان يميل إلى مذهب الكوفيين، ص: 323.
- " كان بصيراً بالعربية حاذقا فيها، وكان قد طالع كتاب سيبويه ونظر فيه"، ص: 321.

وهناك مواضع كثيرة مماثلة أخرى.

(2) وصل إلينا كتاب نحوي للزبيدي في مخطوطين اثنين:
الأول - مخطوط مكتبة الجامع المقدس بصنعاء 71 نحو عنوانه فيه: " الواضح في علم العربية"، ومنه مصورة في دار الكتب بالقاهرة. والثاني: مخطوط الاسكوريال 2/ 197 وعنوانه فيها " الواضح في النحو ". انظر: لحن العامة للزبيدي، مقدمة: عبد العزيز مطر، ص: 8.

(3) ووصف ابن عصفور (ت669) التصريف بأنه من" علم العربية ". انظر: الممتع، ج1، ص: 27. باعتبار أن علم العربية يضم كل ما يتعلق ببناء الجملة وبناء الكلمة.

(4) وردت كلمة " العربية " في تراجم أندلسية نقلها السيوطي في بغية الوعاة 7/1، 8/1، 9/1.

استعملوا النحو بمصطلح " العربية " أو" علم العربية ".

فالمتصفح لوصف ابن خلدون لكتاب سيبويه بأنه في علم العربية وأن ألفية ابن مالك في العربية أيضا[1] يفهم المغزى من المصطلحين. وإذا كان ابن خالويه (ت 270هـ) وهو أحد علماء المشرق قد استخدم عبارة " أهل صناعة النحو"، فإن ابن خلدون وهو مغربي قد ذكر في نفس المعنى عبارة:" أهل صناعة العربية "[2]. وقد أطلق ابن خلدون على القواعد النحوية مصطلحين مترادفين هما: " قوانين العربية " و" القوانين النحوية"[3]. ومن هذا كله يتضح أن المغاربة والأندلسيين كانوا يستخدمون مصطلح العربية في الوقت الذي كان فيه المشارقة يميلون إلى مصطلح النحو.

لقد ظل النحو عند المشارقة أو علم العربية عند المغاربة يضم الدراسات الخاصة ببنية اللغة من جوانبها المختلفة. وعندما ألف المازني (ت 249هـ) كتابه "التصريف"[4] لم يكن البحث في بناء الكلمة إلا جزءاً من النحو بالمعنى الشامل. فسيبويه لم يضع اصطلاحا مستقلا للعلم الذي يبحث في بناء الكلمة، في حين حدد ابن جني (ت 391هـ) مجال البحث في التصريف بأنه معرفة " أصول كلام العرب من الزوائد الداخلة عليه " وأن التصريف هو الأساس الذي تقوم عليه معرفة الاشتقاق[5]، ولم يكن التصريف عند ابن جني إلا جزءا من النحو. وألف ابن

(1) ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، ص: 1231.

(2) قارن: الحجة في القراءات السبع ص 38، ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، ص: 1231، ص: 1278.

(3) ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون 1248.

(4) يعد كتاب "التصريف" للمازني (ت249هـ) أقدم كتاب مستقل كامل وصل إلينا في الأبنية الصرفية. فالمازني من أوائل من خصصوا للأبنية الصرفية كتبا مستقلة.
Sami awad AL - Mazni 'S ;Course in His Book The Inflection ;Tishreen Universit Journal for Studies and Scientific Research- Arts and Humanities Science Series Vol (27) No (2) 2005. pp:1-21.

(5) انظر المنصف شرح التصريف، ج2/1. محمد بن مالك، إيجاز التعريف في علم =

عصفور الأندلسي (ت 669هـ) في بنية الكلمة كتابه "الممتع في التصريف"، والتصريف عنده جزء من البحث في " علم العربية"[1]. وصرح الاستراباذي (ت 681هـ) بأن التصريف جزء من أجزاء النحو بلا خلاف من أهل الصناعة[2].

أما مصطلح" الصرف" الذي استقر في الاستخدام المدرسي بعد ذلك فهو اصطلاح متأخر نسبيا. فالسكاكي (ت 617هـ) استخدم مصطلح الصرف في حديثه عن الأحكام الخاصة ببنية الكلمة[3]، وبهذا المعنى ذكر طاشكبري زاده علم الصرف [4].

ويلاحظ عند هؤلاء المؤلفين المتأخرين أن الصرف عندهم ليس جزءا من النحو، بل هو قسيم النحو. وهكذا استقر مجال علم النحو عندهم باعتبار أنه دراسة الإعراب وبناء الجملة في مقابل الصرف الذي يتناول بنية الكلمة.

قال ابن سعيد المغربي، ونقل كلامه المقري قال: "والنحو عندهم في نهاية من علو الطبقة حتى أنهم في هذا العصر "القرن السابع" فيه كأصحاب عصر الخليل وسيبويه، لا يزداد مع هرم الزمان إلا حدة، وهم كثير، والبحث فيه وحفظ مذاهبه كمذاهب الفقه، وكل عالم في أي علم لا يكون متمكنا من علم النحو بحيث لا تختفي عليه الدقائق فليس عندهم بمستحق للتمييز ولا سالم من الازدراء"[5].

=

التصريف، تح: محمد المهدي عبد الحي عمار سالم، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط1، 2002، ص: 4.

(1) الممتع 27/1.

(2) ابن الحاجب، شرح الشافية في علم التصريف، تح: محيي الدين، القاهرة، ط 1939، ج1، ص: 6.

(3) السكاكي، مفتاح العلوم، ص: 3، وأحمد مطلوب: البلاغة عند السكاكي (بغداد 1964) ص: 65.

(4) مفتاح السعادة 99/1.

(5) أحمد المقري، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ص ص: 179 - 284.

وعلى كر الأيام تكاثرت مسائل مذهب المغاربة والأندلسيين الجديد وذاعت قواعده وامتدت حياته حتى أخذه عنهم المشارقة بعد ما ضعف شأنهم، إذ قد نزح كثير من المغاربة إلى المشرق إما للحج أو للإقامة، ودرسوا في مساجده ومدارسه ومعهم مؤلفاتهم كابن مالك وغيره.

العلماء المغاربة

- عبد العزيز بن عبد الواحد بن محمد بن موسى المكناسي المغربي المالكي، (ت964هـ)[1]، له منظومة في النحو سَمَّاها «غنية الإعراب»، وأخرى في الصرف سَمَّاها «تحفة الأحباب»[2].
- عبد الوهاب بن أحمد بن علي التلمساني الشعراني، المتوفى سنة 973 هـ[3]، له مختصر منظوم لألفية ابن مالك[4].
- عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن عامر الأخضري المغربي المالكي، المتوفى سنة 983 هـ[5]، نَظَمَ المغني لابن هشام، له نسخة محفوظة في المكتبة الأحمدية بتونس[6].
- شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن عبد الرحمن المالكي

---

(1) تنظر ترجمته في الكواكب السائرة ج169/2، وعبد الحي الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تح: عبد القادر الأرناؤوط، محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق، ط1406هـ، ج496/10.

(2) انظر: النجم الغزي، الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة، تح: جبرائيل جبور، بيروت، ج169/2. وشذرات الذهب، المصدر السابق، ج497/10. وحاجي خليفة، كشف الظنون، ج361/1، وج1210/2.

(3) تنظر ترجمته في شذرات الذهب، المصدر السابق، ج544/10، والنجم الغزي، الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة، تح: جبرائيل جبور، بيروت، ج176/3.

(4) انظر: كشف الظنون ج152/1، وهدية العارفين ج641/1.

(5) تنظر ترجمته في هدية العارفين، ج546/1، والأعلام ج331/3، ورضا كحالة، معجم المؤلفين، ج187/5.

(6) انظر: فهرس مخطوطات المكتبة الأحمدية (خزانة جامع الزيتونة) ص: 327.

المعروف بالْخَلُّوف، (ت 899 هـ)[1]، له منظومتان هما:

أ - نَظْمُ تصريف الأسماء والأفعال سَمَّاه «جامع الأقوال في صيغ الأفعال».

ب - نَظْمُ مغني اللبيب لابن هشام الأنصاري.

- عبد العزيز بن عبد الواحد اللَّمْطِيُّ المكناسيُّ الْمَيْمُونِيُّ، المتوفى في حدود سنة 880 هـ، له ألفية في النحو ضمنها ألفية ابن مالك، ومنظومة اشتملت على نيِّف وعشرين فنا[2].
- يحيى بن عبد الرحمن بن محمد العَقيلي الزَّرْماني العَجِيسي، المتوفى سنة 862 هـ، شَرَحَ ألفية ابن مالك نظما[3].
- أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن مرزوق العجيسي التلمساني، المعروف بحفيد ابن مرزوق أو الحفيد، والمتوفى سنة 842 هـ[4]، نَظَمَ أرجوزة اختصر فيها ألفية ابن مالك[5].
- أبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد بن عمران الفَزَاري السَّلاوِيُّ، الشهير بِالْمِجْرَادِيّ، المتوفى سنة 778 هـ[6]، له قصيدة من بحر الطويل تقع في 71 بيتا، نظمها في قواعد الإعراب وسَمَّاهَا «لامية الْجُمَل»[7]، قال في

(1) تنظر ترجمته ونسبة المنظومتين إليه في: السخاوي، الضوء اللامع، ج122/2. وخير الدين الزركلي، الأعلام، ج231/1.

(2) انظر ترجمته في: درة الحجال 132/3. والحميدي، جذوة الاقتباس في ذكر ولاة الأندلس، ج453/2. وأحمد بابا، نيل الابتهاج بتطريز الديباج ص: 275.

(3) تنظر ترجمته ونسبة المنظومة إليه في: السخاوي، الضوء اللامع ج231/10، وخير الدين الزركلي، الأعلام، ج 153/8.

(4) تنظر ترجمته في الضوء اللامع ج50/7. أحمد بابا التنبكتي نيل الابتهاج بتطريز الديباج، ص: 499.

(5) انظر: نسبة المنظومة إليه في: ، نيل الابتهاج، المصدر السابق، ص: 507.

(6) تنظر ترجمة في: إسماعيل باشا البغدادي، إيضاح المكنون، ج397/2، وخير الدين الزركلي، الأعلام، ج44/7، ومعجم المؤلفين، ج286/11.

(7) انظر: إيضاح المكنون، ج397/2.

مطلعها[1]:

حمـدتُ إلهـي ثـم صـلَّيْتُ أولا   على سَيِّد الرسلِ الكرامِ ذوي العلا

توجد منها أربعة نسخ خطية محفوظة في الخزانة العامة بالرباط[2]، ونسختان فـي الجزائـر[3]، ونـسختان أخـريان فـي جامعـة الإمـام محمـد بـن سعود الإسلامية[4]، ونسخة واحدة في كل من دار الكتب الوطنية التونسية[5]، ودار الكـتب المـصرية[6]، ومكتـبة الحـرم النـبوي[7]، وجامعـة الملـك عبد العزيز[8].

وقد طُبِعَتْ في فاس سنة 1317 هـ ضمن مجموع[9]، وَطُبِعَتْ أيضا مع شرحها لعلي بن أحمد الرَّسْمُوكِيّ، المتوفى سنة 1049 هـ[10]، الْمُسَمَّى «مبرز القواعد الإعرابية من القصيدة المجرادية»[11].

- جمال الدين أبو القاسم يوسف بن محمد بن يوسف التَّوْزَرِيّ الرشيدي،

(1) انظر: لامية الجمل للمجرادي، و: 1 ب.

(2) انظر: فهرس المخطوطات العربية المحفوظة في الخزانة العامة بالرباط (الخزانة الكتانية)، ج144/6، وفهرس المخطوطات العربية المحفوظة في الخزانة العامة بالرباط، ج184/1 و235 و258.

(3) انظر: كارل بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ج426/7.

(4) انظر: فهرست مخطوطات النحو والصرف في جامعة الإمام ص ص: 266 - 267.

(5) انظر: فهرس المخطوطات في دار الكتب الوطنية التونسية ج32/2.

(6) انظر: فهرس الكتب العربية الموجودة بدار الكتب المصريةج171/2.

(7) انظر: فهرس مخطوطات مكتبة الحرم النبوي ص: 476.

(8) انظر: فهرس المخطوطات الموجودة بالمكتبة المركزية بجامعة الملك عبد العزيز، ج347/9.

(9) انظر: فهرست الكتب النحوية المطبوعة ص: 220.

(10) تنظر ترجمته في صفوة من انتشر ص: 125.

(11) انظر: فهرست الكتب النحوية المطبوعة ص: 174.

المعروف بابن النحوي، صاحب القصيدة المنفرجة، المتوفى سنة 513 هـ[1]، له قصيدة نحوية رائية من بحر الطويل سمَّاها «اليوسفية»[2]، تقع في ثمان وثلاثين بيتا، منها نسخة خطية محفوظة في الخزانة العامة بالرباط[3]، ونسخة خطية أخرى محفوظة في مكتبة إبراهيم الزمزمي الحفظي بعسير[4]. ومطلع هذه القصيدة قوله[5]:

أَيَا طَالِبَ الإِعْرَابِ دُونَكَ جُمْلَةٌ مِنَ أَحْرُفِهِ أَلَّفْتُها لَكَ فِي شِعْرِي

تُعلِّمُكَ الإعرابَ وهْيَ قريبةٌ مُنَظَّمَةٌ يَسَّرتُها أيَّما يُسْر تُعلِّمُ

ثلاثون بيتاً فَرْعُها وثمانيةٌ يوما ما يُعَلَّمُ في شَهْرِ

وقد شرحها محمد بن أحمد المرابط اليعقوبي (1221 هـ)[6]، ومن هذا الشرح

(1) تنظر ترجمته في جذوة الاقتباس 552/2، ونيل الابتهاج بتطريز الديباج، ص: 622، وهدية العارفين 551/2، والأعلام 247/8. وفي كنيته خلاف، فهي في هدية العارفين والأعلام أبو الفضل، وفي غلاف «الدرة المضية» ل 1 أ، وفي متنها ل 20 ب أبو عبد الله، وفي قصيدته اليوسفية كنى نفسه بأبي القاسم؛ إذ قال فيها:

وقد قال أقسامُ الكلام ثلاثةٌ أبو القاسم النحويُّ في أول الشعرِ

انظر: الدرة المضية في شرح القصيدة اليوسفية ل 10 ب. وانظر: نسبة هذه المنظومة إليه في كتاب الدرة المضية في شرح القصيدة اليوسفية، المصدر السابق، ل 21.

(2) إذ قال في هذه القصيدة:

ولم أنظِمِ اليوسفية أبتغي بها غير رضوان الإله مع الغفر

انظر: الدرة المضية في شرح القصيدة اليوسفية ل 20 ب، ويلاحظ أن صدر البيت مكسور، ولم أستطع تقويمه.

(3) انظر: فهرس المخطوطات العربية المحفوظة في الخزانة العامة برباط الفتح (المغرب الأقصى) 351/1 من القسم الثاني.

(4) انظر: مخطوطات آل حفظي بين الضياع والحفظ، "مجلة عالم الكتب" مج 7، ع 3، ص: 306.

(5) انظر: الدرة المضية في شرح القصيدة اليوسفية ل 1 ب.

(6) تنظر ترجمته ونسبة الشرح إليه في المعسول 62/5.

نسختان خطيتان محفوظتان في الخزانة العامة بالرباط[1]، كما شرحها عمر بن محمد بن أبي بكر المبيض الصيداوي[2] بشرح سماه «الدرة المضية في شرح القصيدة اليوسفية»، ومن هذا الشرح نسخة مخطوطة في المكتبة الظاهرية[3].

- يحيى بن عبد المعطي بن عبد النور الزواوي،زين الدين، يكنى بأبي الحسين، وبأبي زكريا، أما شهرته في المشرق والمغرب فهي " ابن المعطي وابن معط"[4].

(1) انظر: فهرس المخطوطات العربية المحفوظة في الخزانة العامة برباط الفتح 346/1 من القسم الثاني، وفهرس المخطوطات العربية المحفوظة في الخزانة العامة بالرباط 5/ 24.

(2) لم أقف على ترجمته ولا تاريخ وفاته، لكنه ذكر في شرحه (ل 21 أ) أن من شيوخه شمس الدين السخاوي (902 هـ). وفي شذرات الذهب 232/10 ترجمة لأخيه يوسف في وفيات سنة 929 هـ، ومن هنا نستطيع أن نُقدِّر أن وفاته كانت في الثلث الأول من القرن العاشر.

(3) انظر: فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية، علوم اللغة العربية، النحو ص 193.

(4) يحيى بن عبد المعطي بن عبد النور الزواوي، زين الدين، يكنى بأبي الحسين، وبأبي زكريا، أما شهرته في المشرق والمغرب فهي " ابن المعطي وابن معط". ولد بظاهرة بجاية سنة 564 هـ. من مؤلفاته: المثلث في النحو، حواشي: على أصول ابن السراج في النحو، العقود والقوانين في النحو، نظم شرح فيه أبيات سيبويه، . . . توفي رحمه الله بمصر يوم الاثنين سنة 628 هـ. ينظر: ابن كثير، البداية والنهاية، تح: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1988. محمد بن شاكر الكتبي، فوات الوفيات، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط 1973.

القسم الأول

الفصل الأول

مؤلف الرسالة وعصره

أ) الحالة السياسية:

يعد العامل السياسي من أهم العوامل الأساسية في حياة الدول من جهة، وعلى حياة العلماء والمؤرخين من جهة أخرى. فهو يؤثر على كتاباتهم وتوجهاتهم، بطريقة أو بأخرى. فيصبح المؤرخ أو المؤلف يؤرخ لحدث ما انطلاقا من البيئة السياسية، التي وجد فيها. فيعبّر بقلمه عن ذلك الحدث التاريخي، الذي يراه مهما. وله تأثير كبير على الحياة السياسية في البلاد، ومدى انعكاساتها على العلماء والمؤرخين في تلك الفترة. ولمعرفة هذه الأحداث التي عاصرها الطيب عبد المجيد بن كيران، يجدر أن نتناول بعض جوانبها في هذا البحث.

لقد اتسم عصر الطيب عبد المجيد بن كيران بالاضطرابات السياسية بسبب الحروب والأزمات، وانتشار الفتن والمجاعات، ناهيك عن تعنت العنصر الأجنبي وعثيانه في البلاد شر فساد. ومن هنا كان لزاما علينا أن نستعرض ولو إيجازا تلك المرحلة المهمة من تاريخ المغرب الحديث.

1. الأزمة السياسية خلال فترة الثلاثينات:

تعد فترة الثلاثينات فترة عصيبة من تاريخ المغرب خصوصا بعد موت السلطان مولى إسماعيل سنة 1139هـ، حيث أصبح المغرب ملاذا للحكام والولاة الجائرين، الذين أكثروا الفساد وأشاعوا الظلم في البلاد وبين العباد.

بعد موت السلطان المولى إسماعيل الذي اتسم عصره بالأمن والآمان والاستقرار السياسي عموما، وهذا ما يشير إليه صاحب الاستقصا حيث نجده يقول:" اعلم أن المولى أحمد رحمه الله كان مستبدا عليه في كثير من الأحوال يشير العبيد عليه فيفعل، وما قتل من قتل من رؤساء الدولة إلا بإشارتهم.[1] وبعد أن أفضى الأمر إلى المولى أحمد زاد الطين بلّة مما جعل أبو العباس الريفي يغير على أهل تطاوين ويزحف إليها في جيش جرار، غير أن هذا الأخير يلقى مواجهة عنيفة بزعامة أبي حفص الرقاش الذي انتصر على أبي العباس الريفي منكلا به أشد التنكيل.[2]

وقد أدى هذا الحدث المهم إلى إحداث فساد كبير بين أصحاب المخزن والقبائل انجرّ عليه تدهور الأمور وازديادها سوء على سوء. مما جعل استيلاء العبيد على الدولة وهيبتها أمرا ممكنا دون عناء. وهنا يقول صاحب الاستقصا:"إذ معلوم أنه لا ينشأ من كثرة الخلع والتولية إلا هذا وشبهه".[3]

وبعد عزل العبيد المولى أحمد وتولية مكانه عبد الملك بن إسماعيل سنة 1140هـ، ليعزل بعد ذلك ويولى مكانه المولى أحمد بن إسماعيل بيعة ثانية. وبعد موته يعين مكانه المولى عبد الله بن إسماعيل سنة 1141هـ[4]. وفي سنة 1147هـ توترت العلاقة بين السلطان عبد الله وبين العبيد بسبب قتله إياهم، فنشبت حربا ضروسا كادوا أن يقضوا عليه خلالها لولا فراره، فولي مكانه أخاه المولى علي بن إسماعيل

(1) أحمد بن خالد الناصري، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تح: جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، ط1997، ج7، ص: 114

(2) أحمد بن خالد الناصري، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ج7، ص: 116.

(3) المصدر نفسه، ج7، ص: 146.

(4) اجتمع أعيان من الدولة يمثلون كل من العبيد والودايا وسائر القواد والرؤساء وبايعوا المولى عبد الله بن إسماعيل.

المعروف بالأعرج.

وتتالت الأحداث بعدها بين أخذ ورد بسبب طغيان كل من المولى عبد الله وأخيه المولى محمد بن عريبة ومشاغبة المولى المستضيء لأخيه المولى عبد الله. وبموت هذا الأخير تنتهي أحلك فترة من تاريخ المغرب عاش خلالها فترة ضيق شديد حيث ضاقت عليه الأرض بما رحبت.

وممّا تجدر الإشارة إليه أن المغرب ينتقل إلى فترة أخرى وهي فترة السلطان سيدي محمد بن عبد الله الذي جمع ما استطاع أن يجمع من لم شمل المغرب مرة أخرى.[1] وتكاد تجمع جل المصادر التاريخية على الدور الايجابي الذي لعبه السلطان سيدي محمد بن عبد الله في نشر الأمن والاستقرار وتجسيده عمليا على أرض الواقع. وبتربعه على منصب الولاية العامة استقرت أوضاع المغرب لتنتهي بذلك فترة الثلاثينات العصيبة. موجها نظره حول تحرير بلاده من العدوان الفرنسي والاحتلال البرتغالي.

ورغم ما تمتع به حكمه من أمن واستقرار، غير أنه لم تسلم فترته من فتن واضطرابات. وهنا نجد الناصري يقول: "فضعفت هيبة السلطان.. وكانت فتن وثورات..ووقعت إهانات واعتداءات على السلطان نفسه، فسافر إلى مراكش... ثمّ أشيع أنّ السلطان قد عظم عليه الأمر فتنازل عن العرش"[2].

ب) الأحوال الاجتماعية والاقتصادية:

إنّ الفترة الممتدة ما بين (1172 - 1227هـ) من الناحية الاجتماعية والاقتصادية جد مضطربة باضطراب النظام السياسي، وهو ما

(1) أحمد بن خالد الناصري، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تح: جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، ط1997، ج8، ص: 3.

(2) محمد داود، تاريخ تطوان، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس الرباط، المطبعة المهدية، تطوان، ج3، ص: 249.

أدى إلى سوء الأحوال الاجتماعية، وتدّني المستوى المعيشي للمجتمع المغربي بمختلف طبقاته بسبب انتشار الأوبئة والأمراض الفتاكة كالطاعون الذي أودى بحياة الكثير من السكان، على اختلاف فئاتهم. من بينهم العلماء كالشيخ الطيب عبد المجيد بن كيران. الذي كان ضحية هذا الوباء.إلى جانب انتشار الفقر، والمجاعة التي كان لهما الأثر الكبير في زيادة معاناة المجتمع المغربي.

كما كان لغلاء الأسعار تأثير كبير على الحياة الاقتصادية وعلى المجتمع والمنطقة معا. فكانت مداخيل اقتصاد المجتمع المغربي من جد ضعيفة بعدما كانت مزدهرة قبل ذلك.

يمكننا وصف عصر الطيب عبد المجيد بن كيران على أنه عصر تراوح بين الشدة والرخاء، ففي عهد السلطان المولى عبد الله يبرز الناصري الحياة الاجتماعية والاقتصادية قائلا:" هذا والناس في محنة عظيمة من المجاعة والفتنة ونهب الدور بالليل، بحيث كان أهل اليسار لا ينامون، وصار جل الناس لصوصا، والودايا يعيثون في الجنات خارج المدينة ويغيرون على القصارين...والسلطان معرض عن جميع ذلك لا يلتفت إليه". [1]

الحياة الثقافية على عهد الشيخ الطيب عبد المجيد بن كيران

كان للسلاطين المغاربة الدور الفعال في انتعاش الحركة العلمية والفكرية بالمغرب، إذ يعد تشجيع السلاطين وحثهم على تحصيل العلوم والمعارف على تنوعها واختلاف مشاربها من بين الأسباب الحقيقية التي جعلت من حواضر المغرب منابر إشعاعية، يستقطبها القاصي والداني للنهل من بحر الشريعة والحقيقة على حد سواء. أضف إلى ذلك كونهم

(1) أحمد بن خالد الناصري، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ج7، ص: 145.

خريجي مدارس علمية كبيرة وعتيقة كفاس ومراكش وغيرها. بمعنى آخر أن هؤلاء السلاطين كانوا على جانب كبير إلى حد ما من العلم والمعرفة ومطالعة كتب الأوائل والأواخر.

فعلى عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الله كان لظاهرة تحصيل العلوم والمعارف خصوصية تمتاز عن غيرها من العهود السابقة واللاحقة، حيث نجد صاحب الترجمانة الكبرى يصف ذلك بقوله:"وكان رحمه الله نسابة إخباريا حافظا لأيام العرب ووقائعها، حافظا للسير والحديث لا يجارى ولا يبارى لأنه كان أيام خلافته بمراكش ولع بسرد كتب التاريخ والأدب.." [1].

ومن أهم الأعمال التي باشرها بعد توليه عرش المغرب أنه انهمك على دراسة كتب الحديث وتخريجاتها تحصيلا وتدوينا، ومن الأمثلة على أهم مدوناته في هذا المجال، "الفتوحات الإلهية في ما اجتمع من الأحاديث النبوية"[2].و"الجامع الصحيح للأسانيد المستخرج من أربعة مسانيد"[3]، و"فتح الباري في اقتطاف أزهار المسانيد لتخريج أحاديث البخاري"[4].

لقد كان السلطان سيدي محمد بن عبد الله محبا للعلم والعلماء وأهل الخير والصلاح بلا منازع، فقد كان يحضر مجلسه جماعة العلماء والأئمة الأعلام يتناظرون ويتجادلون في فنون العلم المختلفة لاسيما علوم

(1) أبو القاسم الزياني، الترجمانة الكبرى في أخبار المعمور برا وبحرا، تح: عبد الكريم الفيلالي، المحمدية، ط1، 1967، ص: 63.

(2) مخطوط بالخزانة الحسنية بالرباط، تحت رقم: 6629، وتسمى كذلك الفتوحات الصغرى وكذلك "بالفتوحات الإلهية في أحاديث خير البرية" حيث أعيد طبعه بالمطبعة الملكية بالرباط عام 1980.

(3) مخطوط بالخزانة الحسنية بالرباط، تحت رقم: 5866.

(4) مخطوط بالخزانة الحسنية بالرباط، تحت رقم: 1794.

الحديث منها، وكانوا يدونون له كل ما أشكل عليه من فهم بعض القضايا العلمية في علم الحديث وغيره، كما راح يجلب أنفس كتب الحديث القيمة من بلاد المشرق، كمسند الإمام أحمد وأبي حنيفة وغيرهما.[1]

وعلى هذا الأساس وصف العديد من المؤرخين عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الله على أنه عهد النهضة الفكرية والعلمية الحقيقية، والتي ارتكزت في مجملها وفق ضوابط منهجية وقواعد علمية حديثة تساير ذلك العصر، ومحاولة الخروج من دائرة التقليد التي كانت تنحصر أساسا في تدوين المختصرات والحواشي والتعليقات والمنظومات، ممّا أثر سلبا على الحياة الفكرية والعلمية آنذاك فأصابها الجمود والركود والانكماش[2].

معنى هذا أنّ الحياة الفكرية والعلمية على عهد الشيخ الطيب عبد المجيد بن كيران اتسمت بطابع الركود والانكماش بسبب التقليد الذي اكتسح روافدها. ولكن هذا لم يمنع من وجود ثلة من العلماء التجديديين الذين حاولوا النهوض بالحياة العلمية من عالم تقليدي كما اصطلح عليه إلى عالم فكري إصلاحي تجديدي يرجع في أصوله إلى المصنفات الشرعية والأدبية السابقة.

ومن الأمثلة على هؤلاء الإصلاحيين السلطان سيدي محمد بن عبد الله الذي حاول بكل ما يملك من إمكانيات متاحة له، ومن بسط نفوذه واستخدام صلاحياته السلطوية المادية والمعنوية من مجابهة عنصر التقليد، ومحاولة القضاء حياة الجمود والركود الفكري الذي كان عالقا بها في عصره. يقول الناصري واصفا تلك الحالة:"أن اشتغال طلبة العلم بقراءة المختصرات في فن الفقه وغيره وإعراضهم عن الأمهات المبسوطة

(1) الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ج8، ص: 66.

(2) راجع: مصطفى الحكيم، الرؤية الصوفية عند الشيخ الطيب عبد المجيد بن كيران معالم وحقائق، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، ص: 41.

الواضحة تضييع للأعمار في غير طائل".[1]

كما أصدر السلطان عام 1203هـ/1789م ظهيرا ملزما وضّح فيه المنهج الإصلاحي المتوخى من ذلك كله، حيث بعث به إلى شيخ الجماعة آنذاك أبي عبد الله التاودي بن سودة، من جملة ما جاء فيه:"وليعلم الواقف على هذه الفصول المذكورة في هذا الكتاب أننا نأمر بإتباعها والاقتصار عليها ولا يتعداها إلى ما سواها"[2].

(1) الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ج8، ص: 67.

(2) عبد الرحمن بن زيدان، الدرر الفاخرة بمآثر الملوك العلويين بفاس الزاهرة، مخطوط بالخزانة الحسنية بالرباط، تحت رقم: 1772، و: 60.

الفصل الثاني

سيرة الشيخ الطيب عبد المجيد بن كيران

1- حياته ومسيرته العلمية:

تعد بلاد المغرب العربي عموما والمغرب الأقصى خصوصا موطن العلماء والفقهاء والمؤرخين، والطيب عبد المجيد بن كيران واحد منهم، نبغ في شتى مجالات العلوم الشرعية واللغوية، فضلا عن اهتماماته الواسعة في ميدان الدراسات اللغوية والأدبية. وبحكم البيئة التي عاش فيها الطيب عبد المجيد بن كيران، فإنه استطاع أن يفرض نفسه وينافس علماء عصره آنذاك. فقد شغل الطيب عبد المجيد بن كيران مناصب عدة،كان لها تأثير كبير على حياته العلمية وتكوينه الثقافي بشكل عام.

لقد استطاع الشيخ الطيب عبد المجيد بن كيران أن يكون سندا قويا يعتمد عليه خصوصا، فيما يتعلق بالكتابات اللغوية والأدبية التي أثراها بآرائه، وانتقاداته التي يستشعر الباحث من خلالها أن الشيخ على دراية كبيرة من التحليل اللغوي والأدبي والتاريخي على وجه الخصوص. فكانت حياته مليئة بالعلم والمعرفة تتخللها مناظرات ونقاشات مع سائر علماء الأمصار. رغم الظروف الاجتماعية السيئة، التي كانت ربما أسبابا محفّزة له، لمواصلة مجال المعرفة وتصدر أعلى المراتب فيما بعد.

مولده:

هو أبو عبد الله محمد الطيب بن عبد المجيد بن عبد السلام بن كيران الفاسي داراً ومنشأً، شيخ الجماعة بفاس، العلامة النظار، المطلع الحافظ، المفسر

الكبير. ولد بفاس سنة 1172هـ/1758م[1]، من أسرة ابن كيران المشهورة بفاس، كانت هذه الأسرة تقطن في عدوتي الأندلس والقرويين، ومنها التجار والعلماء والقضاة، وهي فروع عديدة، انتقل كثير من أفرادها منذ القديم، إلى مدن شتى.

أخذ الشيخ الطيب ابن كيران العلوم الشرعية واللغوية بفاس، فكان من جملة من أخذ عنهم الشيخ محمد التاودي بن سودة، والشيخ عمر الفاسي، والشيخ محمد بناني، والشيخ زين العابدين العراقي، والشيخ محمد بن طاهر الهواري، وغيرهم ممن عاصرهم من علماء فاس، وأخذ عنه قوم لا يحصون، أبرزهم المولى سليمان الذي جمعته معه علاقة حميمية، والشيخ عبد القادر الكوهن، والشيخ حمدون بن الحاج، والشيخ ابن عجيبة، وغيرهم.

تفرّد الشيخ في وقته بالجمع بين علمي المعقول والمنقول، والفروع والأصول، وله في العربية باع مديد ونظم سديد، واشتغل بالتدريس في القرويين، ومن الفنون التي درّسها وأجاد فيها: التفسير، والمنطق، والتصوف، والنحو، والبلاغة، وعرف في أكثر هذه الفنون بالاجتهاد لا بالتقليد، لذلك تمتع باحترام كبير من طرف السلطان المولى سليمان الذي كان يستشيره في الكثير من المشكلات والملمات، وبالجملة فالشيخ من أفذاذ العلماء وكبارهم.

---

(1) محمد بن جعفر الكتاني، سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس، دار الثقافة، ط1، 2006، ج3، ص ص: 3 - 5. انظر ترجمته في: ابن سودة، إتحاف المُطالع ج1، ص: 108، الناصري، الاستقصا في أخبار دول المغرب الأقصى، ج7، ص: 165)، محمد حجي، موسوعة أعلام المغرب، ج7، ص: 2487، رضا كحالة، معجم المؤلفين، ج10، ص: 109، معلمة المغرب، ج20، ص ص: 6856 - 6857. الزركلي، الأعلام، ج6، ص: 178. أبو راس الناصر المعسكري، فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته، خ. ع2263ك، و: 77. أبو حامد العربي المشرفي، الحسام المشرفي، خ. ع2276، و: 322 - 323. محمد المدني بن جلون، ترجمة الشيخ ابن الطيب عبد المجيد بن كيران، خ. ع1854د، و: 105 - 110.

مؤلفاته:

مما يمكن الإشارة إليه أن المتصفح لتراث الشيخ الطيب عبد المجيد بن كيران يلحظ تنوعا وعطاء في فنون العلم المختلفة، تزيد على العشرين مؤلفا، منها:

التفسير والقراءات:

- تفسير سورة الفاتحة. [1]
- تفسير قوله تعالى:﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَٰٓئِكَةً فِى ٱلْأَرْضِ يَخْلُفُونَ ﴾[2].
- وتفسير قوله تعالى:﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ﴿٤﴾ [3] ﴾.
- تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾ ﴾.[4]
- تفسير قوله تعالى:﴿وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ [5]﴿٤٧﴾﴾.
- تفسير قوله تعالى:﴿ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [6].
- تفسير قوله تعالى:﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [7].
- تفسير قوله تعالى:﴿ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ[8]﴾.

---

(1) خزانة مؤسسة علال الفاسي بالرباط، 747ع، ورقات: 193 - 211.

(2) سورة الزخرف، الآية: 60. ينظر: الخزانة الحسنية بالرباط، 1126، ق42 - 45. /7246، ق133 - 136. خزانة مؤسسة علال الفاسي بالرباط، 389ع، ص ص: 37 – 42. /153 ج، ص ص: 268 - 269.

(3) سورة المؤمنون، الآية: 04. الخزانة الحسنية

(4) سورة فاطر، الآية: 28.

(5) سورة ص، الآية: 47.

(6) سورة البقرة، الآية: 47. والآية: 122.

(7) سورة الأحزاب، الآية: 73.

(8) سورة النساء، الآية: 157.

- تفسير قوله تعالى:﴿ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ﴾[1].
- تفسير قوله تعالى:﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ ﴾[2].

النحو والبلاغة:

- تقييد في لو الشرطية.
- أرجوزة حكم المجاز.
- منظومة في المجاز والحقيقة.
- أرجوزة في الاستعارة.
- النكرة واسم الجنس.
- حاشية على المحاذي شرح الألفية لابن هشام.
- شرح على أوضح المسالك لابن هشام.
- رسالة في مسألة نحوية في باب الاستثناء.
- تقييد في متعلق الجار والمجرور في البسملة وفي بيان معنى الحمد والشكر والمدح لغة وعرفا.
- تقييد على قول خليل في مختصره.
- تقييد في منع ما أنا ضربت إلا زيدا.
- تقييد في المسند والمسند إليه.
- تقييد في علم الجنس واسم الجنس والفرق بينهما.
- بحث حول علم المعاني.

الفلسفة والمنطق:

- رسالة في القوة المدركة.
- شرح على الخريدة في المنطق لحمدون بن الحاج.

(1) سورة البقرة، الآية: 260.

(2) سورة الأحزاب، الآية: 73.

الحديث ومصطلحه:

- رسالة في مسألة حذف لفظة قال من السند.
- شرح 12 حديثا الآخرة من الأربعين نووية.
- شرح الأربعين النووية.
- شرح حديث لا يدخل الجنة ولد الزنا ولا ولده.
- نهاية المنى في أحكام ولد الزنا.
- منظومة جامعة لشعب الإيمان.
- تقييد على حديث: من صام رمضان واتبعه ستا من شوال.

الفقه:

- تقييد في حكم السترة في الصلاة.
- تقييد في الإمام والفذ.
- جواب على كتابين للمولى سليمان في فريضة الحج.
- حواشي على موضع من الشرح الصغير لميارة على المرشد.
- سؤال وجوابان في مسائل فقهية.
- نبذة تاريخية في تاريخ المغرب الأقصى.

السيرة النبوية:

- شرح ألفية العراقي في السيرة النبوية.

الوعظ والتصوف والإرشاد:

- شرح الحكم العطائية.
- ورقات من شرح الحكم.
- شرح الصلاة المشيشية.
- عقد نفائس اللئال في تحريك الهمم العوال إلى السمو إلى مراتب الكمال.
- تقييد حول زيارة الأولياء والتوسل بهم.
- تقييد حول التعلق بالأولياء والصالحين.

مواضيع مختلفة:

- لطيفة الربانية.
- شرح على العقيدة لابن أبي زيد.
- تفسير آيات بينات لابن كيران.
- شرح السنوسية.
- ألغاز لابن كيران.
- تقييد مطول في الرد على الوهابية.
- استعارات مختصرة من السعد.
- تقييد في أهل الفترة من العرب.
- تقييد حول صلح وقع بين السلطان مولاي إسماعيل وبعض النصارى.
- سؤال وجوابان في مسائل فقهية.
- نبذة تاريخية في تاريخ المغرب الأقصى.
- وهناك رسائل وتقييدات أخرى في فنون مختلفة؛ وهي مساهمة منه في إغناء التراث المغاربي، وإعطائه الصبغة العلمية والمعرفية خلال ذلك العصر.
- شرح ألفية العراقي في السيرة، وحاشية على توضيح ابن هشام، وشرح على الحكم العطائية، وشرح على الصلاة المشيشية، وشرح رسالة المولى سليمان في الكسب، ونظم في المجاز والاستعارة؛ مشهور بين الطلبة وقد شرحه أكثر من عالم، وغير ذلك من التآليف الجيدة التحرير. ورسالته في لو الشرطية التي نحن بصدد دراستها وتحقيقها وإخراجها إلى عامة الباحثين والمهتمين بتراث النحو المغربي الأصيل.

ريادته للبحث المصدري:

يتميز الشيخ الطيب عبد المجيد بن كيران بمنهج خاص به في البحث اللغوي، يتمثل في تحقيق بعض المسائل النحوية واللغوية والبلاغية والمنطقية التي لها صلة بحضارتنا العربية الإسلامية، والكشف عن المصادر الدفينة في مجال

التفسير، والمنطق، والتصوف، والنحو، والبلاغة، والتحقيق في بعض المسائل المتعلقة بالفنون السالفة الذكر. وهو ما جعله يعرف في أكثر موطن بالاجتهاد لا بالتقليد.

وهي الميزة الأساسية التي جعلته يكسب شهرة علمية واسعة المنافذ، وفي منابر مختلفة: كمنابر السلطان والعلماء وحتى العامة، في بعض مقفلات ما استشكل عليهم في مجال النحو واللغة على وجه الخصوص.

وفاته:

توفي الشيخ الطيب عبد المجيد بن كيران بعد حياة العطاء والسخاء يوم الجمعة 17 محرم الحرام سنة 1227هـ/ 1812م، وكانت جنازته مشهودة، حضرها خلق كثير. وقد نص على ذلك كل من تلامذته البوري وأقصبي في شرحي أرجوزته في الاستعارات.

وكانت جنازته في شكل مشهود وفي موكب مهيب، ويذكر ذلك محمد أبو راس الناصر المعسكري في قوله:" ولما توفي رحمه الله اهتزت لموته فاس وحزن لموته كل الناس، وصاروا يرثونه ويمدحونه، وحضر جنازته السلطان فمن دونه. وهذا شأن العلماء الكبار في كل الأقطار والأمصار".(1)

وظل قبره مزارا للعلماء والأمراء فهذا تلميذه السلطان المولى سليمان كان يتعاهد قبره ويزوره ويدعو عنده.(2)

---

(1) أبو راس الناصر المعسكري، فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته، خ.ع 2263ك، و: 77.

(2) محمد بن جعفر الكتاني، سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس، دار الثقافة، ط1، 2006، ج 3، ص ص: 3 - 5.

القسم الثاني

التعريف بالرسالة

1. موضوع الرسالة:

تخدم رسالة الشيخ الطيب عبد المجيد بن كيران موضوع النحو وعلومه؛ كونه يعد من العلوم الآلية، التي لها مكانة كبيرة في نفوس المغاربة بل بكثير من غيره؛ فهي تضاهي في أغلب الأحيان العلوم الفقهية الأساسية؛ إذ كيف لا وأن فهم الأمور الفقهية لا يتأتى إلا بفهم المصطلحات النحوية واللغوية لكل عبارة أو مفردة؛ بل علم التفسير والعقيدة، ...كلها تحتاج إلى هذا العلم لمعرفة تراكيبها ومن ثم فهم مدلولاتها وفك رموز مصطلحاتها.

فنراه خلال شرحه يستدل بأبيات أبي العلاء المعري:

وَلَوْ دَامَتِ الدَّوْلَاتُ كَانُوا كَغَيْرِهِمْ رَعَايَا وَلَكِنْ مَا لَهُنَّ دَوَامُ

وحول كلامه عن استثناء نقيض المقدم؛ يستشهد الشيخ الطيب عبد المجيد بن كيران بقول الحماسي:

فَلَوْ طَارَ ذُو حَافِرٍ قَبْلَهَا لَطَارَت وَلَكِنَّهُ لَمْ يَطِر

كما يستشهد الشيخ الطيب عبد المجيد بن كيران بقول بعض الشعراء، للطافة القول المستشهد به؛ إلى جانب زيادة حسن التعليل:

لَوْ لَمْ يَكُنْ أُقْحُوَانًا تُقِرُّ مَبْسِمُهَا مَا كَانَ يَزْدَادُ طِيبًا سَاعَةَ القَمَر

وكذا قول بعض نجباء الأصحاب:

فلَوْ لَمْ يَكُنْ رِيقُهُ مِنْ هَيَا لَمَا كَانَ فِي مُقْلَتَيهِ انْكِسَارُ

الباعث على تأليف الرسالة

2. سبب تأليف الرسالة:

من خلال العنوان يتضح لنا أن سبب تأليفها يتجلى في اختلاف الناس وجدالهم حول لو الشرطية ومواقعه إعرابها؛ ويتضح ذلك من خلال قوله:" هذا وقد أطال الناس البحث في لو الشرطية، واختلفوا في تفسيرها وضبط أقسامها على أقوال مرضية وغير مرضية. فقيدت من ذلك ما اعتمده أولوا التحرير وقدرته في هذا المسطور، أحسن تقدير، ومن الله أسأل التوفيق والهداية إلى سواء الطريق، فأقول لو الشرطية على نوعين امتناعية واستقبالية"[1].

والناظر إلى واقع هذه الرسالة يلحظ مدى علم الشيخ الطيب عبد المجيد بن كيران وتضلعه في علم النحو العربي، إلى جانب خوضه في مسائل علم البديع أيضا. فهناك رسائل مخطوطة في الاستعارة والمجاز؛ إذا تدارسها المهتمون والباحثون أثلجت صدورهم بما يجدونه من معلومات قيمة.

(1) الطيب عبد المجيد بن كيران، رسالة نحوية في لو الشرطية، و:01.

وصف النسخ

3. وصف النسخ المعتمدة في التحقيق:

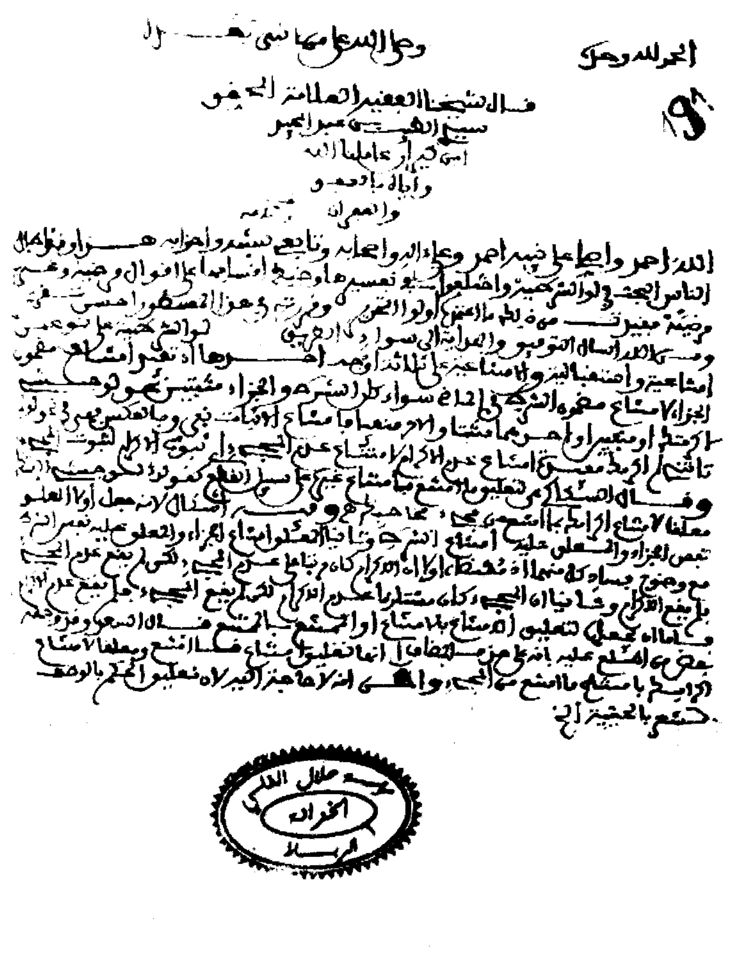
اعتمدت في تحقيق "رسالة لو الشرطية للشيخ الطيب عبد المجيد بن كيران" على ثلاثة نسخ خطية. وفي ما يلي وصف لما اعتمدناه من النسخ:

1. **النسخة الأولى:خزانة زاوية الكرط**: وقد كتبت بخط مغربي واضح ومقروء. يتنوع فيها الحبر الأسود والأخضر والأحمر. تقع هذه النسخة في تسعة أوراق من الحجم المتوسط مقياس: 12/20سم، ذو مسطرة 20 سطرا، ولا توجد بهذه النسخة خروم. وقد اعتمدناها أصلا؛ لأنها بخط الشيخ الطيب عبد المجيد بن كيران وبتوقعيه واعتمدناها أيضا لوضوح خطها وقلة الأخطاء بها. خالية من تاريخ النسخ واسم الناسخ.

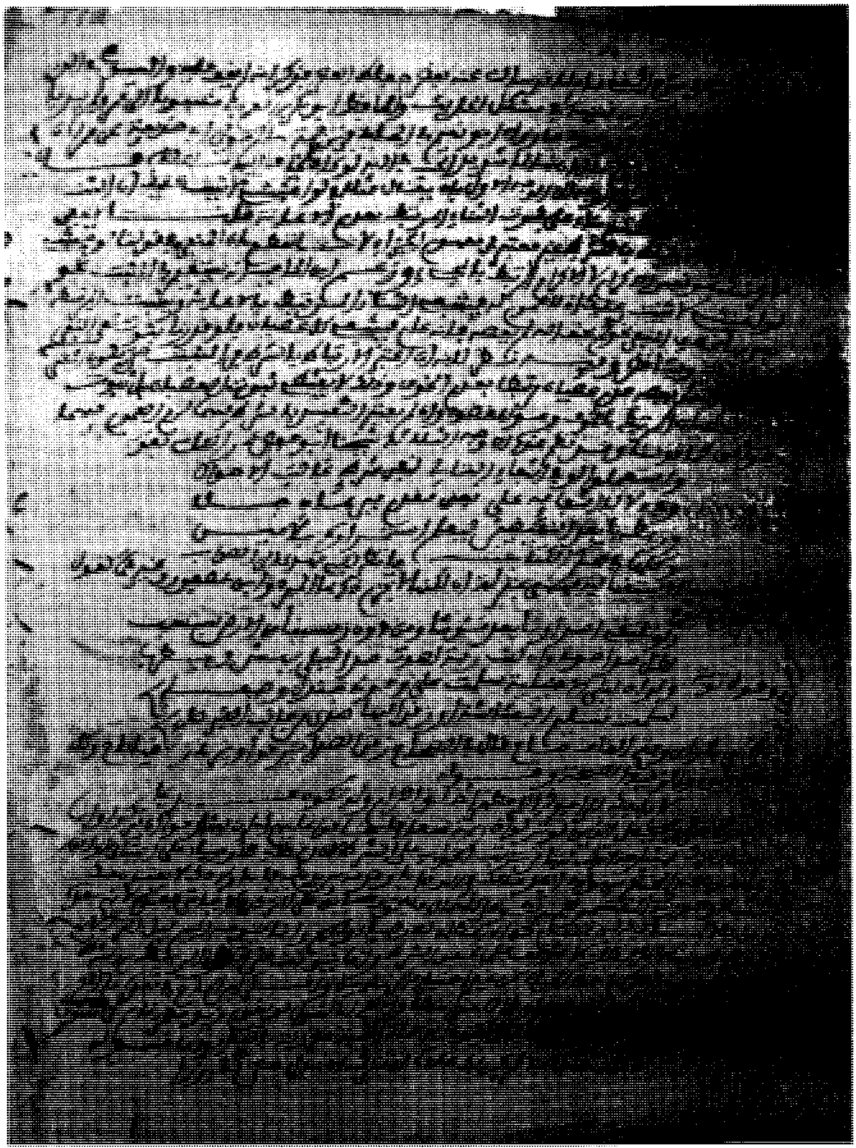
2. **النسخة الثانية:وجدناها بخزانة المكتبة الوطنية المغربية بالرباط**، وهي نسخة تامة كتبت بخط مغربي حسن، تقع ضمن مجموع؛ ذو مقياس:11/18، ذو مسطرة 22 سطرا، وهي سالمة من الخروم خالية من تاريخ النسخ واسم الناسخ.

3. **النسخة الثالثة: بخزانة مؤسسة علال الفاسي بالرباط**، وهي نسخة تامة كتبت بخط مغربي حسن، تقع ضمن مجموع؛ ذو مقياس 17/15، ذو مسطرة 36 سطرا، وهي مبتورة الآخر، وهي سالمة من الخروم خالية من تاريخ النسخ واسم الناسخ.

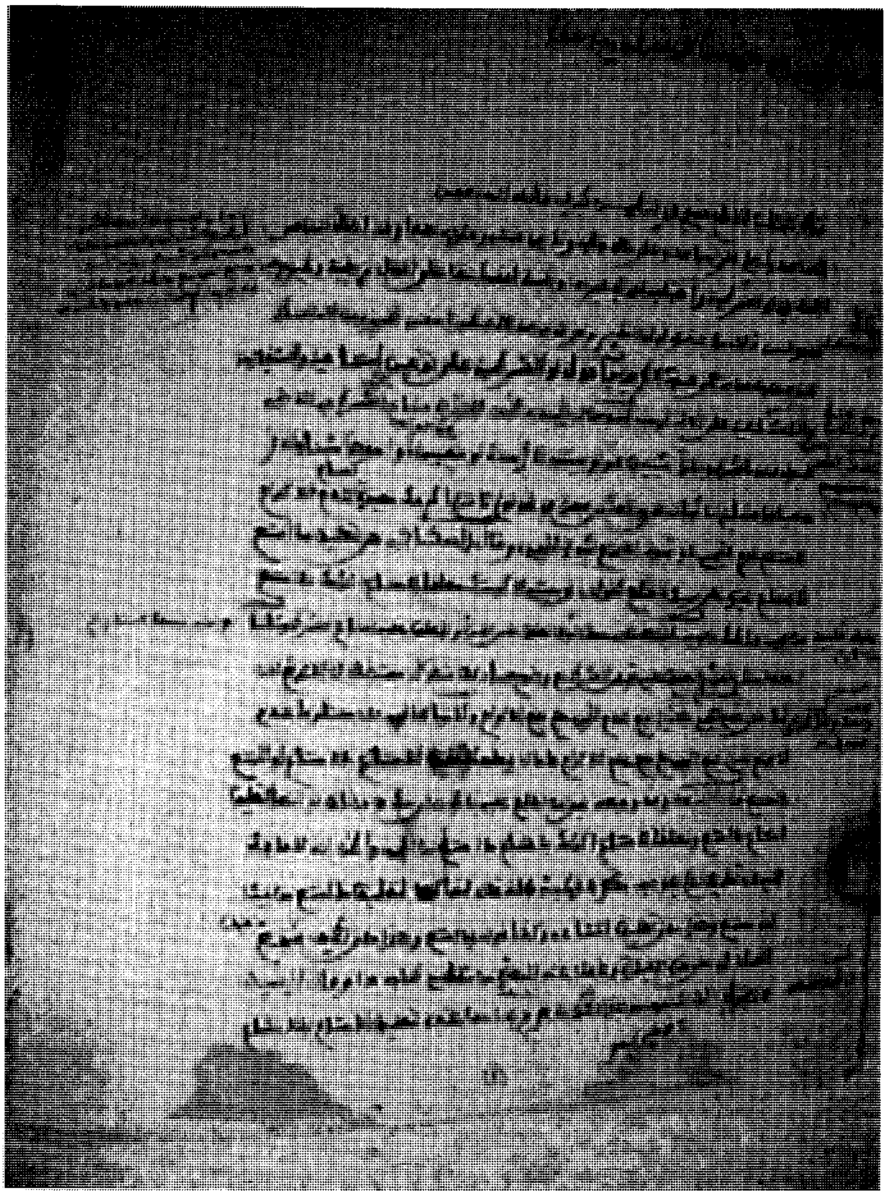
صور الرسالة المخطوطة


الحمد لله وحده
وصلى الله على سيدنا محمد

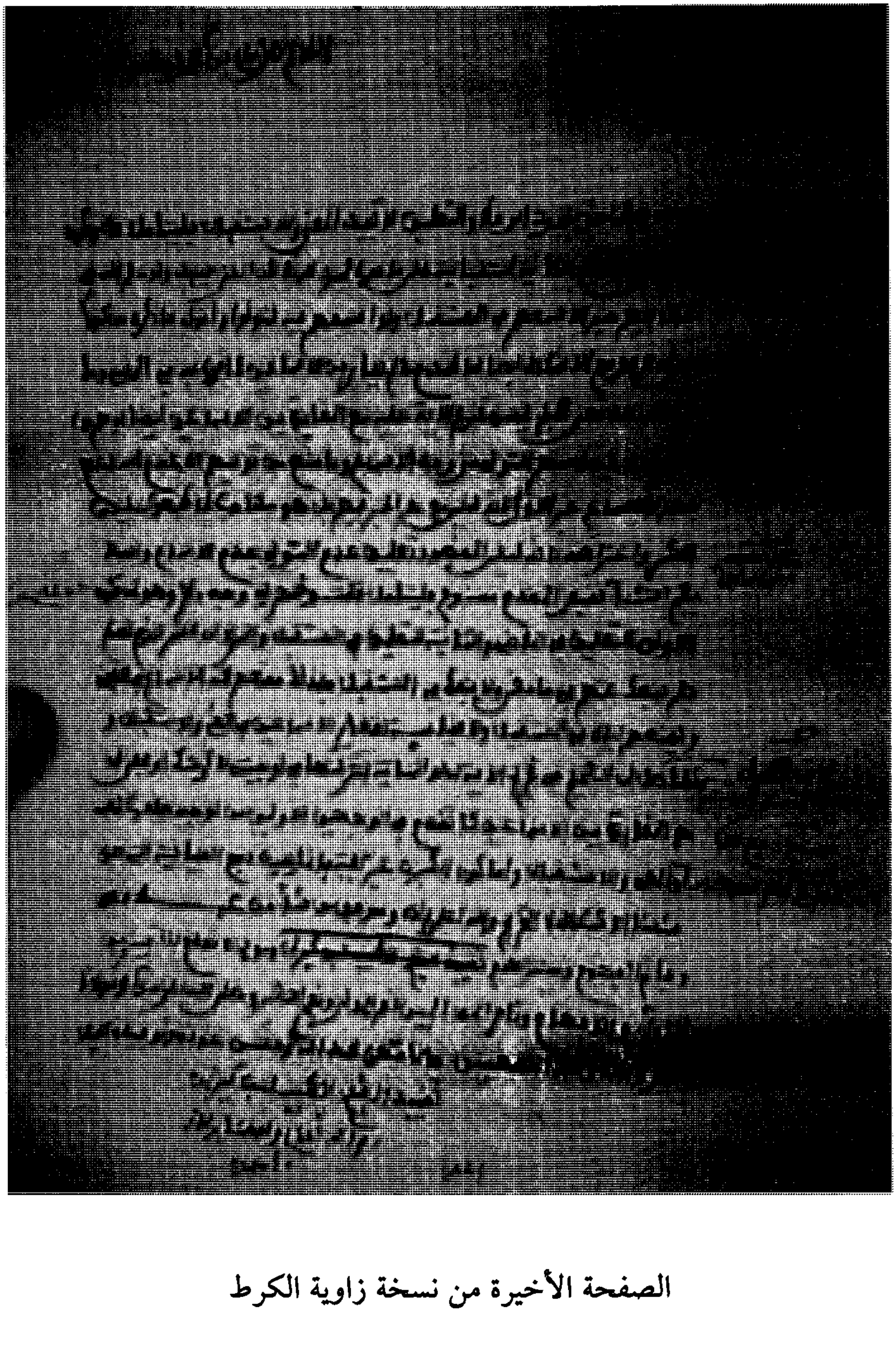
الصفحة الأولى من نسخة خزانة مؤسسة علال الفاسي بالرباط رقم: **191**.



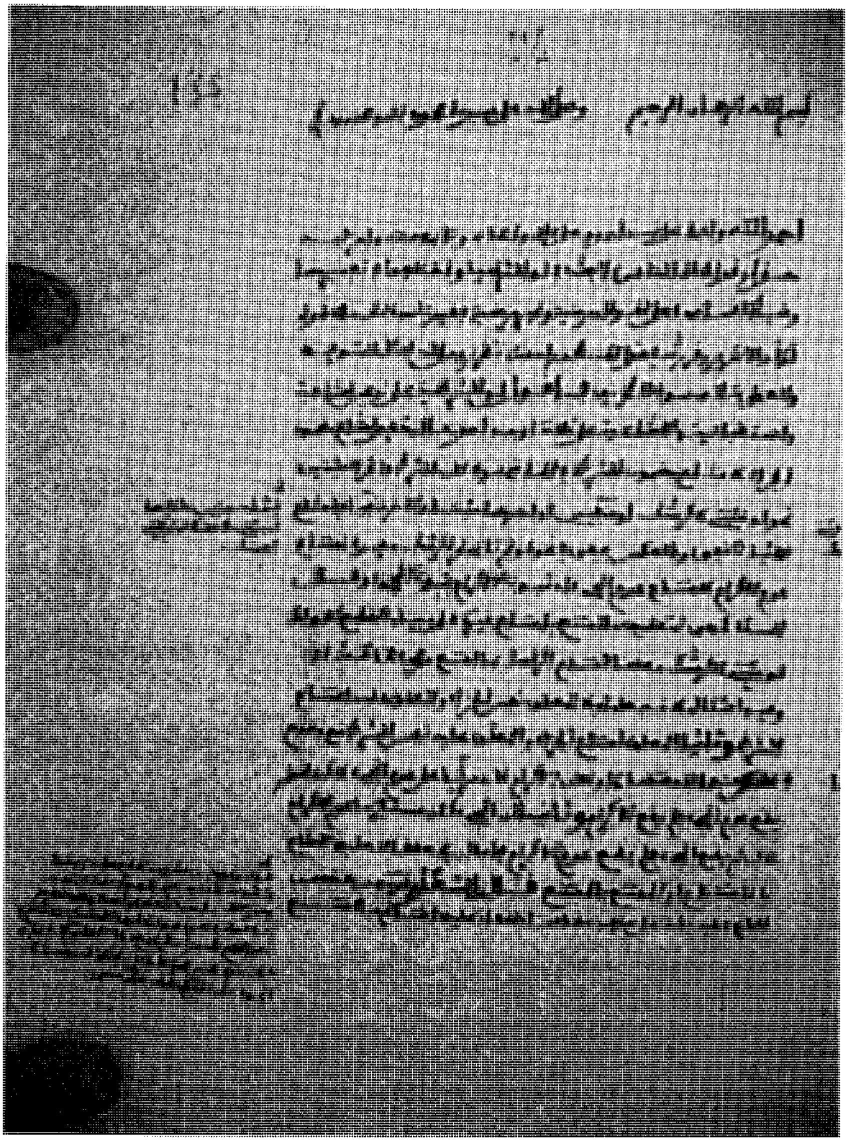
الصفحة الأخيرة من نسخة خزانة مؤسسة علال الفاسي بالرباط رقم:**191**.



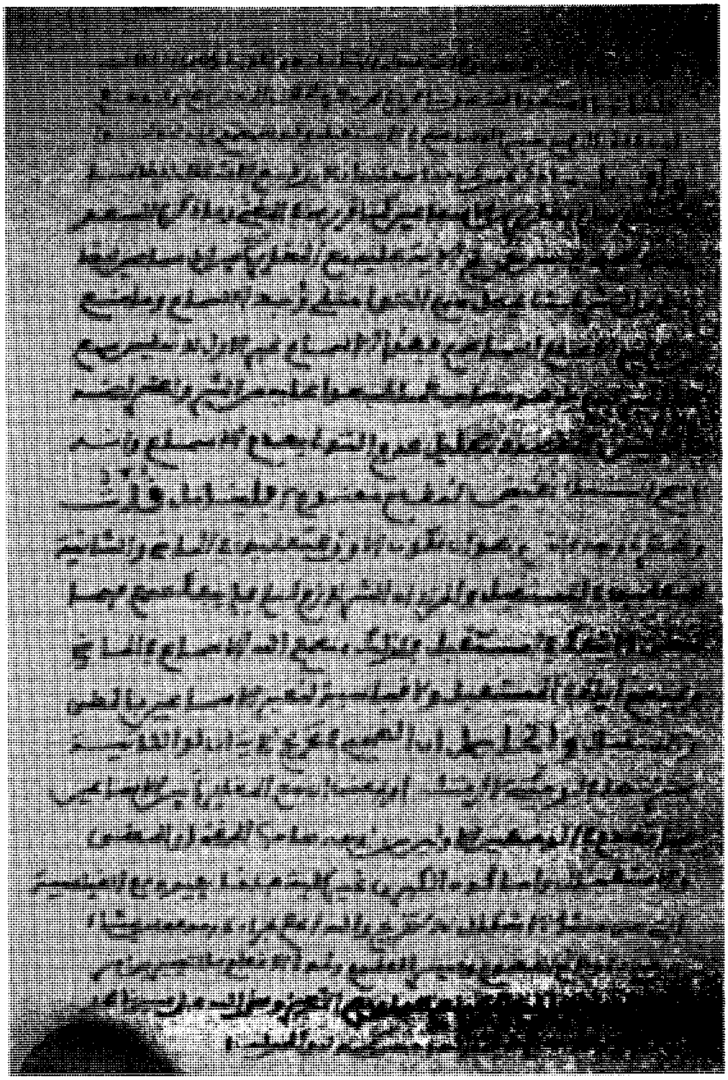
الصفحة الأولى من نسخة خزانة زاوية الكرط



الصفحة الأخيرة من نسخة زاوية الكرط



الصفحة الأولى من نسخة المكتبة الوطنية للمملكة بالرباط المغربية رقم: **135**.



الصفحة الأخيرة من نسخة المكتبة الوطنية للمملكة المغربية بالرباط رقم: **135**.

عملنا في التحقيق

لتحقيق متن الرسالة وإخراجها سلكنا الخطوات المنهجية التالية:

1.اتخذنا نسخة زاوية الكرط هي النسخة الأصل ورمزنا إليها بحرف " أ"، ثم نقلت المتن وفق ما تستوجبه قواعد الإملاء والنقل، معتنيا بالمتن كما هو.

2.استعنا بنسخة خزانة المكتبة الوطنية للمملكة المغربية بالرباط، ورمزنا إليها برمز"ب"، لحل مقفلات النص وتقويم أخطائه، وتلافي النقص فيه.

3. استعنا كذلك بنسخة خزانة مؤسسة علال الفاسي ورمزنا لها "ج" لإتمام الساقط من نسخة "أ" أضفته من نسخة "ب".

4. عملنا على مقارنة النصوص ببعضها البعض.

5. ثم الساقط من نسخة "أ" أضفته من نسخة "ب" و" ج"، وإضافة عناوين مناسبة تتناسب ومحتوى الرسالة بين معكوفتين هكذا [.....].

5. عزوت النصوص التي استشهد بها المؤلف إلى أصحابها، ونسبتها إلى مظانها. سواء ما نقله المؤلف نقلا أمينا، أو ما تصرف في نقله، ووضعت تلك النصوص بين مزدوجتين هكذا "....".

5.تخريج الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة.

6.تخريج أسماء الأعلام وشرح بعض المفردات الصعبة.

[لو الشرطية] [1]
لسيدي محمد الطيب عبد المجيد بن كيران

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم صلِّ على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلّم تسليما

[مقدمة الناظم]

قال العلامة الإمام سيدي محمد الطيب عبد المجيد بن كيران قابله الله بعفوه.

الله أحمد وأصلي على نبيه أحمد، وعلى آله وصحبه وتابعي سنته وحزبه، هذا وقد أطال الناس البحث في لو الشرطية[2]، واختلفوا في تفسيرها وضبط أقسامها على أقوال مرضية وغير مرضية. فقيدت من ذلك ما اعتمده أولوا التحرير وقدرته في هذا المسطور، أحسن تقدير، ومن الله أسأل التوفيق والهداية إلى سواء الطريق، فأقول لو الشرطية على نوعين امتناعية واستقبالية.

[الورقة2]لكن لا يهم أن أريد الربط جزما، أي امتنع الجزاء لامتناع الشرط قطعا لا التعليق الشرطي إذ مفرده الشرطي في الماضي امتنع الجزاء فيه، فلا يكون الامتناع مقطوعا به، ولا يخفى جمل التعليق على الشرطية أنسب، وأنّ مفهوم لو التعليق بين جملتيها من حيث التحقيق والوجود فرضا فيلزمه القطع بامتناع الجزاء لامتناع الشرط، فالأولى أن يقال أراد السكاكي أنّها لتعليق الممتنع بالممتنع فتساهل أولا في الشرط وثانيا في الجزاء اعتمادا على ظهور المعنى، فيكون التعليق في عبارته محمولا على معناه المتبادر، ولو مفسرة بمعناها الحقيقي مع الإشارة إلى ما

---

(1) ما بين معكوفين من وضع المحقق.

(2) كالعلامة أبي حفص الفاسي في حاشيته على مختصر السنوسي، والسعد في المطول والسيد في حواشيه عليه، وابن السبكي في جمع الجوامع وصاحب الأساس وغيرهم وقد صح لها ابن مالك في الخلاصة.

يلزمه.[1] وزعم **السّلوبي**[2] وتبعه **ابن هشام الحضرامي**: أنّ لولا تدل على امتناع أصلا[3]، ولو باللزوم بل على التعليق في الماضي كما دلّت أنّ على التعليق في المستقبل، ولم تدل بإجماع على امتناع ولأثبتها قال **ابن هشام**: وهذا الذي قالاه كإنكار الضروريات، إذ فهم الامتناع منها كالبديهي، فإنّ كل من سمع لو فعل كذا، فهم منه عدم وقوع الفعل من غير تردد.

وفيه نظر لأنّ الذي كالبديهي إنّما هو فهم الامتناع في الجملة وهما قابلان به، وأمّا فهمه منها فليس كالبديهي، فلذا قالا كما في الممكن أنّ استفادة امتناع الشرط والجزاء أو الشرط حفظ من خارج وإنّما الذي ينبغي به الردّ عليهما إنّه لما كان فهم الامتناع يوجد بوجودها وينعدم بانعدامها، دلّ ذلك على أنّه منها ولو باللزوم، فلا يدّعي أنّه من غيرها إلاّ بدليل واضح. وهاهو قول **ابن مالك**: لو حرف شرط في مضى، حيث لم يزد على ذلك موافقتها، لكنّه خلاف ما صرّح به في الكافية وشرحها، والتسهيل وهذا الوجه غالب استعمالات لو نحو ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَـٰهُ بِهَا ﴾[4] ، ﴿ وَلَو شَآءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ﴾[5] ، ﴿ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾[6]، ويحتمله ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَـٰفًا كَثِيرًا ﴾[7]. ويحتمل الوجه الثاني ولغلبته اقتصر الجمهور عليه في تفسيرها،

---

(1) من الامتناع فما جعله السعد موضوع لو جعله السيد مأخوذا بالالتزام وموضوعها تعليق الحصول بالحصول فرضا، فيلزمه الانتفاء فكان الحال واحدا.

(2) هو من أشياخ السلوبين والتبعية بمعنى استحسان رأي التلميذ.

(3) أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفومي، كتاب الكليات، معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تح: عدنان درويش - محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، د ط، 1419هـ - 1998م، ص: 1242.

(4) سورة الأعراف، الآية: 176.

(5) سورة يونس، الآية: 99.

(6) سورة الأنعام، الآية: 149.

(7) سورة النساء، الآية: 82.

فقالوا: لو حرف امتناع لامتناع، يعنون امتناع الثاني لامتناع الأول، وهو ظاهر قول سيبويه: "لو لما كان سيقع لوقوع غيره، فقوله سيقع في ظاهر في أنّه لم يقع، فكأنّه قال: لا شفاء ما كان يقع يعني الجزاء، وقد أوّله ابن هشام بما لا صحة **[الورقة3]** له الوجه الثاني أن تفيد أن العلم بانتفاء التالي علة للعلم بانتفاء القدم من غير التفات، إلى أنّ علة انتفاء التالي في الخارج ما هي نحو: ﴿ لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾[1] لكنهما لم تفسدا، فدلّ ذلك على أنّ ليس فيهما[2] إلاّ الله والملازمة في الآية عادية، إن أريد بفساد السماء والأرض خروجهما عن نظامهما المشاهد مع قطع النظر عن الابتداء، لأنّه قد عهدوا له أن تناظيم الحكام يقضي إلى فساد النظام، وجريان الأمور على غير وجهها، فهي من قبيل الاستدلال بالمخاطبة والحجة فيها إقناعية.

كذا ذكر المولى **سعد الدّين** في شرح التلخيص، وفي شرح العقائد النسفية، قال فيه: وإلا فإن أريد الفساد بالفعل، فبمجرّد التعدّد لا يستلزمه لجواز الاتفاق على هذا النظام، فيكون ممكنا لا محالة.

وقد شنع عليه بعضهم قائلا له: هذا يستلزم أن يعلم الله رسوله ما لم يتمّ به الاستدلال على المشركين، فيلزم أحد أمرين محدودين، إمّا الجهل أو السفه تعالى الله عن ذلك علوّا كبيرا.

وقد تصدّى تلميذ السعد العلامة **علاء الدين النجاري** لردّ هذا التشنيع، بأنّ من الناس الفطن الذكي، ومنهم الجاهل الغبي الذي لا يدرك البراهين العقلية، فيخاطب بالأمور المبنية على أمور عادية لألفه إيّاها، فيحسب أنها عقلية.

فالقول باشتمال القرآن على ما ينفع الفريقين قول سديد ليس عليه محيد، ويجب أن لا يكون الإرشاد لكل واحد على وثيرة واحد، نقله الكمال **ابن أبي**

---

(1) سورة الأنبياء، الآية: 22.

(2) انظر: جمال الدين ابن هشام الأنصاري، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تح: مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، دار الفكر، بيروت، ط5، 1979، ص: 339.

شريف في حواشيه على شرح النسفية، ونقل عن شيخه ابن الهمام كلاما آخر ذكره في شرح المسايرة، وهو أنّ الملازمة فيها عادية لكنها قطعية الصدق بجريان العادة لوجود التمانع والتغالب عند تعدد الحكام، وذلك مما يقضي إلى فساد المملكة عادة، فهذا من العلوم العادية التي يقدم فيها التجويز العقلي دون نظر إلى العادة كما لا يقدم في العلم بأن الجبل الذي رأيناه في ما مضى لم ينقلب الآن ذهبا، فلزوم الفساد للتعدد مقطوع به نظرا إلى العادة، وإن كان يجوز عقلا وقوع الاتفاق مع قطع النظر عن العادة.

[الورقة4] وعقلية[1] إن أريد بفسادهما عدم تكونهما لما يؤدي إليه التعدد من رجوع الأثر الواحد أثرين مع الاتفاق ومن عجزهما مع الاختلاف والآلهة ويجب عموم قدرته وإرادته لجميع الممكنات، وعليه جرى **السنوسي** على شرح الكبرى والمختصر، والقصد خلافا للسعد في نفيه أن تكون الملازمة فيها قطعية هذا تحرير الكلام في هذا المقام، وهذا الوجه أقل استعمالا من الوجه الأول ومنه ﴿لَوْ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةً مَّا وَرَدُوهَا ۖ﴾[2] ﴿ أَن لَّوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُواْ فِي ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴾[3].

﴿ لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ ۚ﴾[4]، ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾[5]. ووهم ابن الحاجب فتوهّم أن لو الامتناعية أبدا على هذا الوجه، فقال في أماليه ظاهر كلامهم يعني في قولهم لو حرف امتناع لامتناع، إن الجواب ممتنع لامتناع الشرط لا يقع. يذكرونها مع لولا فيقولون: لو حرف امتناع لوجود، والممتنع مع لولا هو الثاني قطعا، فكذا يكون قولهم في لو وغيرها ذا القول

(1) عطف على عادية من قوله سابقا والملازمة في الآية عادية.

(2) سورة الأنبياء، الآية: 99.

(3) سورة سبأ، الآية: 14.

(4) سورة الأحقاف، الآية: 11.

(5) سورة النساء، الآية: 82.

أولى، لأنّ الأول سبب والثاني مسببا، والمسبب قد يكون أعمّ من السبب لجواز أن يكون للشيء أسباب مختلفة، كالنار والشمس للإشراق فانتفاء السبب لا يوجب انتفاء المسبب بخلاف انتفاء المسبب، فإنّه يوجب انتفاء السبب ألا ترى إلى قوله تعالى:﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾[1] إنما سيق ليستدل بامتناع الفساد على امتناع تعدد الآلهة دون العكس، إذ لا يلزم من انتفاء تعدد الآلهة انتفاء الفساد لجواز أن يفعله الواحد لسببه أخر، فالحقّ أنها لامتناع الأول لامتناع الثاني.

واستحسن المتأخرون كلام ابن الحاجب حتى كادوا يجمعون عليه، وعبروا في توجيهه بالملزوم واللزوم مكان المسِّبب والمسبَّب ارتضا لقول الرضى أن دليله يعني ابن الحاجب باطل ودعواه حق، أما الأول فلأن الشرط عندهم أعم من أن يكون سببا نحو: لو كانت الشمس طالعة فالنهار رمضي، أو شرطا نحو: لو كان لي مال لحججت أو غيرهما نحو: لو كان النهار موجودا كانت الشمس طالعة، وأما الثاني فإن الشرط ملزوم والجزاء لازم وانتفاء اللازم يوجب انتفاء الملزوم دون العكس بجواز أن يكون اللازم أعم ولذا قالوا **[الورقة5]**في القياس الاستثناء. إن استثناء نقيض التالي ينتج نقيض المقدم دون العكس، فإن قلت: لو كان هذا إنسانا لكان حيوانا لكنه ليس بحيوان، ينتج ليس بإنسان. ولو قلت: لكنه ليس بإنسان لم ينتج ليس بحيوان."

ومثله لابن الخباز في شرح الدرّة[2] فإنّه قال:" في قوله تعالى:﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا ﴾[3]، يقول النحويون لم نشأ فلم نرفعه والصواب لم نرفعه فلم نشأ، لأنّ نفي اللازم يوجب نفي الملزوم ووجود الملزوم يوجب وجود اللازم، فيلزم من وجود المشيئة، وجود الرّفع ومن نفي الرفع نفي المشيئة". وكل ذلك وهم كما نبّه

---

(1) سورة الأنبياء، الآية: 22.

(2) " الدرة الألفية في علم العربية" منظومة لابن معطي يحيى بن عبد المعطي 628هـ" شرحها ابن الخباز " أحمد بن الحسين 637هـ".

(3) سورة الأعراف، الآية: 176.

إليه السعد في شرحَي التلخيص إذ ليس معنى قولهم لو لامتناع الجواب لامتناع الشرط، إنه يستدل بامتناع الشرط على امتناع الجواب حتى يرد عليه.

إن انتفاء السبب أو الملزوم لا يوجب انتفاء المسبب أو اللازم، وإنما معناه أن انتفاء الجزاء في الخارج إنما كان لانتفاء الشرط من غير التفات، إلى أن علة العلم بانتفاء الجزاء ما هي فمعنى لو شاء الله لهداكم أجمعين، أن سبب انتفاء الهداية في الخارج إنما هو انتفاء المشيئة، ألا ترى إلى قولهم:" لولا لامتناع الجزاء لوجود الشرط نحو: لولا عليّ لهلك عمر، معناه أن وجود عليّ سبب لعدم هلاك عمر، كأن وجوده دليل على أن عمر لم يهلك قال: ويدل لما ذكرناه قول أبي العلاء المعرّي:

وَلَوْ دَامَتِ الدَّوْلَاتُ كَانُوا كَغَيْرِهِمْ رَعَايَا وَلَكِنْ مَا لَهُنَّ دَوَامُ

ألا ترى أنّ استثناء نقيض المقدم لا ينتج شيئا بناء على ما تقدّر في المنطق وقول الحماسي:

فَلَوْ طَارَ ذُو حَافِرٍ قَبْلَهَا لَطَارَت وَلَكِنَّهُ لَمْ يَطِرِ

أي عدم طيران تلك الفرس بسبب أنه لم يطر ذو حافر قبلها، فليتأمّل قال وأما أرباب المعقول فقد جعلوا كلا من - أن ولو - ونحوهما أداة للتلازم دالة على لزوم الجزاء للشرط من غير قصد إلى القطع بانتفائها.

ولهذا صحّ عندهم انتفاء عين المقدم نحو: لوكانت الشمس طالعة فالنهار موجود، لكن الشمس طالعة فيستعملونها للدلالة على أن العلم بانتفاء التالي، يوجب العلم بانتفاء الأول ضرورة انتفاء الملزوم بانتفاء اللازم من غير التفات. إلى أنّ علة انتفاء الجزاء في الخارج ما هي لأنهم إنما يستعملونها في القياسات لاكتساب العلوم والتصديقات وإذا تصفحنا وجدنا [الورقة6] استعمالها على قاعدة اللغة أكثر، لكن قد تستعمل على طريقتهم كقوله تعالى: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾ لظهور أن المراد منه التصديق ينفي تعدد الآلهة لتبيان سبب انتفاء الفساد، فعلم أن اعتراض الشيخ وأشياعه إنما هو على ما فهموه من كلام القوم وغلطوا غلطا صريحا وكم من عائب قولا صحيحا، هذا حاصل كلامه.

وهو حسن ميزانه، يوهم كما قال السيد:" أن الآية واردة على أوضاع المنطقيين، دون قاعدة اللغة، وفيه بعد جدا، قال: "والحقّ أيضا أنه من المعاني المفترة لأهل اللغة الواردة في استعمالاتهم عرفا، فإنه قد يتصدّون للاستدلال في الأمور العربية، كما يقال لك:" هل زيد في البلد، فتقول: لا، إذ لو كان فيها لحضر، فجلسنا بمستدلّ بعدم الحضور، على عدم كونه في البلد، ويسمي علماء البيان مثله بالطريقة البرهانية لأنه أقل استعمالا من الأول كالمعنى الثالث، ويسمى أيضا بالمذهب الكلامي ومن ألطفه قول الشاعر وعلى زيادة حسن التعليل:

لَوْ لَمْ يَكُنْ أُقْحُوَانًا تُقِرُّ مُبْسِمُهَا   مَا كَانَ يَزْدَادُ طِيبًا سَاعَةَ القَمَر

وكذا قول بعض نجباء الأصحاب:

فلَوْ لَمْ يَكُنْ رِيقَهُ مِنْ هَيَا   لَمَا كَانَ فِي مُقْلَتَيهِ انْكِسَارُ
وَمَا كَانَ لَمِ يُبْدِ إِلَّا يَمِيسُ   وَمَا كَانَ فِي وِجْنَتَيْهِ احْمِرَارُ

ومثله قول الآخر:

نَفْسِي فِدَاكَ وَعَدْتَنِي بِزِيَارَةٍ   فَظَلَلْتُ أَرْقُبُهَا إِلَى الإِمْسَاءِ
حَتَّى تَنْبِيه وَجْهَكَ طَالِعًا   لَمْ تَنْتَقِضْهُ غَضَاضَةَ اسْتِحْيَاءِ
فَعَلِمْتُ أَنَّكَ قَدْ مَنَعْت وَأَنَّهُ   لَوْ رَأَى وَجْهَكَ لَمْ يُلِحْ بِسَمَاءِ

وحقيقتها في هذين الوجهين تعليق جزاء ممتنع في الماضي.

الوجه الثالث أن تفيد استمرار وجود مضمون الجزاء على تقدير مضمون الشرط، وعلى تقدير عدمه بالأولى، وذلك إذا ربط ذلك الجزاء بأبعد النقيضين عنه، فيكون وجوده مع النقيض المناسب أحرى، وهذا الوجه على ثلاثة أضرب: أحدها أن يكون المذكور في الشرط أولى باستلزام الجزاء من نقيضه من حيث أنه مبين بسبب أحرى من النقيض، وإن كان النقيض أولى منه من حيث أن المذكور نقيض[الورقة7] غير مناسب كقولك في من عرض عليك نكاحها: لو لم تكن أختي من الرضاع ما حلّت لي للنسب، رتب عدم حلها على انتفاء إخوة الرضاع المبيّن بإخوة النسب، وكل منها يستلزم الحرمة لكن حرمة الرضاع دون حرمة النسب.

والمعنى أنها لا تحلّ لي أصلا لأن بها وصفين، لو انفرد كل منها حرمت الثاني أن يكون مرتّبه على المذكور في الشرط ونقيضه سواء من حيث أن المذكور في الشرط مبيّن بسبب مساو للنقيض. وإن كان ترتبه على النقيض أولى من حيث أنه سبب مناسب، والمذكور نفي له نحو ما رواه الشيخان لقوله ﷺ في درة بضمّ المهملة بنت أم سلمة[1] أي هذا لما بلغه تحدث الناس المُساء أنه يريد أن ينكحها، إنها لو لم تكن ربيبتي في حجري ما حُلّت لي، إنها لبنت أخي من الرضاع، رتب عدم حلها على عدم كونها ربيبة، فيترتب عليه بالأولى، ويبين ذلك العدم بكونها ابنة أخيه من الرضاع، وحرمة الرضاع مساوية لحرمة المصاهرة، والمعنى أن عدم حلّها له ﷺ لأمرين كونها ربيبة، وكونها ابنة أخيه من الرضاع.

والمساء لما تحدثنا بذلك جوزنا أن يكون حلّها له من خصائصه ﷺ، وقوله في حجري علو وقف الآية لا مفهوم له على المشهور، لأنه لموافقة الغالب. الثالث أن يكون ترتّبه على نقيض المذكور في الشرط أولى مطلقا، أي سواء اعتبر المذكور من حيث أنه النقيض المناسب أو بين بسبب آخر نحو قوله عمرﷺ وقيل النبي ﷺ نعم العبد صهيب[2]، لو لم يحق الله، لم يقصد رتب عدم العصيان على عدم الخوف، وهو بالخوف أولى، والمعنى أنّ لعدم معصية صهيب[3] سببين: الخوف والمحبة والإجلال، فلو انتفى الخوف لن توجد المعصية لوجود سبب آخر وهو

(1) هي زينب بنت عبد الله المخزومية ربيبة الرسول ﷺ وابنة أم المؤمنين أم سلمة ماتت في المدينة المنورة سنة 73 هـ وهذا الحديث في صحيح البخاري: كتاب النكاح.

(2) اشتهر هذا القول في كتب الأصوليين من حديث عمر وبعضهم يرفعه إلى النبي. انظر: العجلوني، كشف الخفاء، رقم: 2831 ص: 323.

(3) صهيب بن سنان (. . - 38هـ) صحابي عربي أسره الروم صغيرا فعرف بالرومي، شهد بدرا وأحدا وغيرهما من المواقع. وهذا القول لم يثبت عن عمر ولا عن النبي ﷺ ولكن روى أبو نعيم في الحلية، ج1، ص: 177. أن النبي قال في سالم كمولى حذيفة: إن سالما شديد الحب لله، لو كان لا يخاف الله ما عصاه. ابن هشام الأنصاري، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، دار الفكر، بيروت، ط5، 1979، ص: 339.

المحبة والإجلال. كما قيل:

تعــصي الإلــه وأنــت تظهــر حــبّه ‏ ‏ ‏ هــذا لعمــري فــي القــياس بديــع
لــو كــان حــبّك صــادقا لأطعــته ‏ ‏ ‏ إنّ المحــبّ لمــن يحــبّ مطــيع

فأولى أن لا توجد عند اجتماعهما، وهذا الأثر عن عمر ﷺ كما نسبه إليه جماعة منهم صاحب المغني أو الحديث كما ذكره الخطيب والقرافي في الفروق والسعد[1] في المطوّل.[الورقة8]وابن الحاجب في شرح المفصل والسنوسي في شرح المختصر، أنكره جمع من المحدثين كالبهاء السبكي في شرح التلخيص، والعلامة زين الدين العراقي وولده الحافظ أبو زرعة، والدماسيني في شرح المغني قائلا: "قد سألت عنه بعض حفاظ العصر، فذكر أنه لم يقف عليه، والسيوطي في الدرر المنتثرة نفى ذكره ابن قتيبة في مشكل الحديث والحافظ أو بكر ابن العربي منسوبا إلى عمر ولم يبديا له إسنادا، وإنّما الموجود ما رواه أبو نعيم في الحلية في ترجمة سالم مولى أبي حذيفة عن عمر أنّ النبي ﷺ قال:" إنَّ سَالِمًا شَدِيدَ الحُبّ في اللهِ لو كان لا يخاف الله ما عصاه" فإن قيل هل يصحّ هذا الوجه إلى الوجه الأول بأن يقال مثلا في "لو أهنتني لأثنيت عليك"[2].

إن الثناء المرتبط بالشرط غير معتبر في مفهوم الجزاء لأنّا نقطع بأن المنفي في قولنا:" لو جئتني لأكرمتك"[3] هو نفس الإكرام لا الإكرام المرتبط بالمجيء، وقول عمر ابن الحاجب أنه يستقيم في المثبت نحو:"لو أهنتني لأثنيت عليك"، إذ لا

(1) السعد التفتازاني: سعد الدين بن عمر. له تهذيب المنطق، وشرح الكشاف وغيرهما ت 791هـ.

(2) أي ثنائي عليك مستمر سواء أهنتني أم لا.

(3) مما يجدر التنبيه عليه وهو أن (لو) فيها اصطلاحان: أحدهما لأرباب العربية، والآخر لأهل المنطق. فأما اصطلاح أهل العربية فهو أن (لو) يؤتى بها عندهم للدلالة على أن انتفاء الجزاء في الخارج سببه هو انتفاء الشرط، فليست عندهم لإفادة انتفاء الجزاء ولا انتفاء الشرط، بل هي لبيان سبب انتفاء الجزاء. انظر: في كتاب الايضاح في علل النحو للزجاجي، ص: 85. فصلا تحت عنوان: الأفعال أيها أسبق في التقدم.

عموم له فينتفي الثناء المرتبط بالإهانة ويثبت الثناء المرتبط بعدمها بخلاف المنفي نحو: لو لم يحقّ الله لم يعصه، فإنّه عام فينتفي كلّ عصيان، فلو قدّرنا ثبوت نفي النفي لزم الإثبات ويتناقض وفيه نظر، لأنّه إذا اعتبر الارتباط بالشرط في المثبت حتى يكون المعنى لو أهنتني لأثنيت عليك ثناء مرتبطا بالإهانة، فليعتبر ذلك في المعنى حتى يكون المعنى في لو لم يحقِ الله لم يعصه، عدم العصيان مرتبط بعدم الخوف وذلك لا يقتضي ثبوت العصيان به ثبوت عدم العصيان المرتبط بالخوف وهو المقصود، وإن لم يعتبر التقييد بالشرط فيهما لزم العموم فيهما وهو الحقّ كما قدّمناه.

وقد نظّم هذه الأوجه ثلاث شيخنا أبو حفص الفاسي عمر الفاسي بقوله:

واستعملوا لو في انتفاء التالي ... لنفي شرط غالب الأحوال
وفي دلالة انتفائه على ... نفي مقدّم ببرهان جلا
وربطه بأبعد النقيضين ... ليعلم استمراره بلامين
وكلّها في محكم الكتاب ... فانظر لكي تهدى إلى الصواب

وأما الاستقبالية فهي بمنزلة أنْ لكنّها لا تجزم ذكره مبرد وابن عصفور وغيرهما، [الورقة9] كقول قيس ابن الملوح:

ولو تلتقي أصداؤنا بعد موتنا ... ومن دون رمسينا من الأرض سيسب[1]
لظلّ صدى صوتي وإن كنت رمة ... لصوت صدى ليلى يهش ويطرب[2]

وقول توبة:

ولو أنّ ليلى الأخيلية سلمت ... عليّ ودوني جندل وصفائح
لسلمت تسليم البشاشة أو زقى ... إليها صدى من جانب القبر صائح

زقى بالزاي وفتح القاف صاح، قال في الصحاح:" زقى يزقو زقيا صاح، وكلّ زاق صائح والزقية الصيحة[3]، وقوله:

(1) كذا في الأصل والصواب سبسب ومعناه المفازة.

(2) البيتان لأبي صخر الهذلي" عبد الله بن سلمة" ونسبا لقيس بن الملوح وليس له.

(3) زقي: (ى (كزَقَى يَزْقِي زَقْياً) * وزُقِيّاً، واوِيَّةٌ يائيَّة. وكلُّ صائحٍ زاقٍ. والزَّقْيَةُ: =

لا يلفك الراجوك إلاّ مظهرا خلف الكرام ولو تكون عديما

وقوله تعالى:﴿ وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُواْ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا خَافُواْ عَلَيْهِمْ ﴾[1] أي يشارفوا أن يتركوا وإنما أولنا الترك بمشارفة الترك، ليتأتى ترتب الجزاء على الشرط، لأنّ الخطاب للأوصياء على اليتامى أو الذين يجلسون عند المختصر، فيقولون أنفد مالك في الوصايا وقدمه بين يديك، فإنّ أولادك لا يغنون عنك شيئا، أو للورثة المقتسمين للميراث.

وعلى كل حال فالخوف سابق على الترك لا يتأتى بعده لأنهم بعده أموات، لا لما قاله ابن هشام من أن الخطاب للأوصياء، وإنما يتوجه إليهم قبل الترك، لأنهم بعده أموات، لأن الخطاب لا يتوقف على تحقق الشرط، وإنما يتوقف على تحقق الربط بين الشرط والجزاء، وهو حاصل في حال الحياة من غير احتياج إلى تأويل، وأنكر ابن الحاج في تعده على المقرب مجيء لو للتعليق في المستقبل، وقال هذا خطأ والأصّح أن تقول لو يقدم زيد يعمر قاسم، كما تقول ذلك مع أن أيّ وهو لا يصّح لأنّ جواب لو لا يكون جملة اسمية مقرونة بالفاء، وأما قوله:

=

الصَّيْحَةُ)؛ نقلَهُ الجوهريُّ وقَرَأَ ابنُ مَسْعودٍ: إن كانتْ إلاَّ زَقْيةً، مَكانَ صيحةً. محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني مرتضى الزَّبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق مجموعة من المحققين، دار الهداية. ج38، ص: 219. والزقاء: الصياح. ثقال: زقا الصدا، ويزقو ويزقي زقاء وزقيا إذا صاح. قال:

ولو أنَّ ليلى الأخيلية سلمت علي وفوقي جندل وصفائح
لسلمت تسليم البشاشة أو زقى إليها الصدى من جانب القبر صائح

راجع: اليوسي، زهر الأكم في الأمثال والحكم، بتحقيق. محمد حجي: عميد كلية الآداب في الرباط، ود. محمد الأخضر. الدار البيضاء سنة 1401هـ 1981. ج1، ص: 149. محمد بن تاويت، زهر الأكم في الأمثال والحكم، مجلة الكتاب المغربي: السنة 3/ 1983م، ع1، ص: 66.

(1) سورة النساء، الآية: 9.

قالت سلامة لم يكن لك عادة أن تترك الأعداء حتى تعذرا
لو كان قتل يا سلام فراحة لكن بررت مخافة أن أوسرا[(1)]

فضرورة مع أن لو فيه امتناعية وأجاب الدماميني بأنه قد يختص من المترادفين، بل لا يهم وقوع الآخر فيه ورده الشمقمي بقول ابن الحاجب في أصلية المترادفان، فإن يصّح حلول كلّ منها محلّ الآخر، لأنها بمعنى واحد ولا يحجر في التركيب.

والصواب أن ذلك غالب لا لازم[**الورقة**10] بدليل أن ما الموصولة مرادفة لأل الموصولة ولا يصّح حلولها محله، وكذا أنكره بدر الدين وابن مالك وقال: عندي لو لا تكون لغير الشرط في الماضي، وغاية ما في أدلة من اثبت ذلك أن ما جعل شرطا للو مستقبل في نفسه أو مفيد بمستقبل. وذلك ينافي امتناعه فيما مضى لامتناع غيره ولا محوج لإخراج لو عمّا عهد لها من المضي. فالمستقبل في نفسه نحو ﴿ وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُواْ مِنْ خَلْفِهِمْ ﴾[(2)].

والمفيد بالمستقبل نحو ولو تلتقي الخ. وفي كلامه نظر، إذ عدم المنافاة بين استقبالية هذا الشرط وامتناعه فيما مضى لا يفسد غرضه من حذف هذه الأدلة عمّا تفيده من التعليق في المستقبل، على أن ما ذكر من الامتناع لا يصّح في الإثبات ولا في الآية المذكورة، ألا ترى أنه لا يصّح فيها الاستدراك في قوله:

ولو أن ما أسعى معيشة كفاني ولم أطلب قليل من المال
ولكن ما أسعى بمجد موثل وقد يدرك المجد الموثل أمثالي
ولو كان حمد يخلد الناس لم يمت ولكن حمد الناس له بين بمخلد[(3)]

---

(1) انظر: جمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف بن هشام الأنصاري، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تح: مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، دار الفكر، بيروت. ط6، 1985. ص: 359.

(2) سورة النساء، الآية: 9.

(3) البيت لزهير بن أبي سلمى. شرح الديوان، ص: 236. وهو مع الشاهد 926 من قطعة واحدة.

وقوله تعالى: ﴿ وَلَوْ أَرَىٰكَهُمْ ﴾[1] الآية فلا يصّح أن تقول ها هنا ولكن لم تلتق، فلم يقل ولكن لم تسلم، فلم أسلم عليها، ولكن لم تكن عديما ولكن لم يتركوا ضرورة أنّ المعنى ليس عل ذلك، كما لا يخفى من يلاحظ المقصود الذي يدل عليه المقام والسوابق واللواحق، فتسليم ابن هشام أم ما قاله بدر الدين من التأويل ممكن في بعض المواضع لشعر قيس وتوبة الآية فيه نظر بل هو ممتنع فيها كامتناعه في ﴿ وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ ﴾[2]. لاستحالة أن يراد لو كنا صادقين فيما مضى لصدقنا، لكنا لم نكن صادقين وكون لو بمعنى أن قاله كثير من النحويين في هذه الآية، وفي ﴿ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾[3]، ﴿ قُل لَّا يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ ﴾[4]، ولو أعجبتكم ولو أعجبكم ولو أعجبك حسنهن، ونحو أعطوا السائل[5] ولو جاء على فرس، ونحو قوله:

قوم إذا حاربوا شدوا مآزرهم دون النّساء ولو باتت بأطهار

وما أحسن قول بعض المحدثين في هذا القسم:

كم استراح إلى صبر لفرقتكم صب إليكم من الأشواق في ترح
تركتم قلبه من حزن فرقتكم لو يرزق الوصل يقدر على مدح

[الورقة 11] وإذا ولي لو هذه ماض لفظا أول فمضارع نحو "وليخش الذين لو تركوا" أي يتركوا أي يشارفوا الترك كما تقدم، كما أنه إذا ولي الامتناعية مضارع لفظا أول بالماضي.

---

(1) سورة الأنفال، الآية: 43.

(2) سورة يوسف، الآية: 17.

(3) سورة التوبة، الآية: 33. / سورة الصف، الآية: 9.

(4) سورة المائدة، الآية: 100.

(5) الرواية في الموطأ " باب الترغيب في الصدقة" وأبي داود "باب الزكاة" ومسند أحمد، ج1، ص: 201. والجامع الصغير ". . . وإن جاء. . . ".

قال في الإيضاح البياني[1] ويلزم كون جملتها فعليتين، وكون الفعل ماضيا فرخو لها المضارع في نحو قوله تعالى:﴿ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ ﴾ لقصد استمرار الفعل فيما مضى وقتا بوقت، كما في قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ ﴾[2] بعد قوله ﴿ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴾[3] في قوله:﴿فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴾[4]، ودخولها عليه في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُواْ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾[5] لتنزيله منزلة الماضي لصدوده عن ما لا خلاف في أخباره، كما نزل يود منزلة ود في قوله تعالى:﴿ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾[6].

ويجوز أن يكون الغرض من لفظ ترى، ويود استحضار صورة رؤية المجرمين ناكسي الرؤوس قائلين ما يقولون وصورة رؤية الظالمين موقوفين عند ربهم متقاولين لتلك المقالات وصورة وداد الكافرين لو أسلموا كما في قوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَـٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَـٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ ﴾[7]، إذ قال فتثير استحضارا لتلك الصورة البديعة الدالة على القدرة الباهرة من لإيثار السحاب مسخرا بين السماء والأرض، تبدوا في الأولى كأنها قطع قطن مندوف ثم تتضام متقلبة بين أطوار حتى تكون ركاما. وقول تأبط شرا:

(1) الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، تح: الشيخ بهيج غزاوي، دار إحياء العلوم، بيروت، ط1998، ص: 367.

(2) سورة البقرة، الآية: 15.

(3) سورة البقرة، الآية: 14.

(4) سورة البقرة، الآية: 79.

(5) سورة السجدة، الآية: 12.

(6) سورة الحجر، الآية: 2.

(7) سورة فاطر، الآية: 9.

ألامــــس مـــبلغ فتـــبان فهـــم بمـــا لقـــيت عـــند رمـــي بطـــان
بأنـــي قـــد لقـــيت الغـــول تهـــوِى بـــسُهْبٍ كالـــصحيفة صَحــصحانِ
فقلـــت لهـــا: كلانـــا نِـــضْو أرضـــا أخـــو سـفرٍ، فخلّـى لـي مكانـــي
فـــشدّت شـــدّةً نحـــوي فأَهْـــوَت لهـــا كفِّـــي بمـــصقولٍ يمانـــى
فأضـــربها بـــلا دهـــش فَخَـــرَّتْ صـــريعا للـــيدين وللجِـــرانِ[1]

وقد يكون ذلك للدلالة على أن الفعل من الفظاعة بحيث يحترز أن يعبر عنه للفظ الماضي للدلالة على الوقوع في الجملة، كما تقول:" لقد أصابتني حوادث لو تبقى إلى الآن لما بقي مني أثر" أي لأنّ بقاءها إلى الآن أمر فظيع يشكر، وإن كانت باقية في الحقيقة. [الورقة12]

(1) محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت 1393هـ)، التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت – لبنان، ط1، 1420هـ/2000م، ج22، ص: 125.

خاتمة

نسأل الله حسنها فحثّ بعض الطلبة بالسؤال عن قوله تعالى: ﴿ وَلَوۡ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمۡ خَيۡرًا لَّأَسۡمَعَهُمۡۖ وَلَوۡ أَسۡمَعَهُمۡ لَتَوَلَّواْ ﴾[1] وتوجيهه أنّ الجملتين تركب منها قياس افتراء من الشكل الأول: وتنقيح لو علم فيهم خيرا لتولوا، وهذا مستحيل لأنه على تقدير على الخير لا يحصل منهم المتولي، بل الإذعان والقبول. وأجيب بأوجه أحدها أنّ التقدير لأسمعهم إسماعا نافعا ولو أسمعهم إسماعا غير نافع لتولوا. الثاني: أنّ التقدير ولو أسمعهم على تقدير عدم علم الخير فيهم، وعلى هذين الوجهين فليس بقياس لاختلاف الوسط. الثالث: أنّ التقدير ولو علم الله فيهم خيرا وقتا ما لأسمعهم لتولوا بعد ذلك ولا استحالة فيه.

ذكر هذه الثلاثة صاحب المغني ويرد على الثالث أن لو إنمّا استعملت في فصيح الكلام في القياس الاستثنائي، المستثنى فيه نقيض التالي، لا في القياس الافترائي، وذكر في المطول أوجها أخر ولفظه وأجيب بأنهما مهملتان وكبرى الشكل الأول يجب أن تكون كلية ولو سلم فإنما ينتجان لو كانتا لزوميتين وهو ممنوع ولو سلم. فاستحالة النتيجة ممنوعة لأنّ علم الله فيهم خيرا محال، إذ لا خير فيهم والمحال جائز إن يستلزم المحال. يريد أن النتيجة محال لا لذاتها، بل من حيث لزومها عمّا هو محال وهو المقدم.

فلذا منع ولا استحالتها وأثبته، ثانيا فلا تدافع بينهما وفي الثاني نظر لأنّ السعد بنفسه ذكر في شرح النسفية أنّ الاتفاقتين منتجتان كاللزوميتين. قال: وأمّا إذا كانت إحداهما اتفاقية والأخرى لزومية ففيه تفصيل لا يليق

---

(1) سورة الأنفال، الآية: 23.

بهذا الكتاب، واعترض في المطول، الوجهين إلاّ وليس من هذه الثلاثة بأنه كيف يصّح أن يعتقد في كلام الحكيم تعالى إنه قياس أهملت فيه شرائط الإنتاج، وأيّ فائدة تكون في ذلك؟ وهل يركب القياس إلا لحصول النتيجة.

فقال:" السبب هذا تشنيع بشيع وتقبيح قبيح وتزييف ضعيف، إذ لا شبهة على ذي دربة في دراية التوحيد، ولا ذي مسكة في صناعة المناظرة، بأن المجيب بأن الشرطيتين المذكورتين[الورقة13] لا تنتجان ما توهمّه ذلك القائل، يعني المدعي أنهما على صورة القياس الافترائي، بناء على عدم حصوله شرائط إنتاجها لانتفاء كلية الشرطية، التي جعلها ذلك القائل كبرى أو لانتفاء لزوم الشرطيتين، لم يرد أن الله تعالى أوردهما قياسا لإنتاج تلك النتيجة لكنه أهمل شرائط الإنتاج، إذ لا يقول به مميز فضلا عن متزيف أراد منع كونه قياسا منتجا لها، وجعل انتفاء الشرائط سندا له وعلامة بعدم إرادة القياسية وبهذا القدر تندفع تلك الشبهة ولا حاجة به تلجئه إلى تلك الورطة".

واعترض الثالث في المطول أيضا بقوله وهذا غلط لأنّ لفظ لو لم تستعمل في فصيح الكلام في القياس الافترائي، وإنما يستعمل في القياس الاستثناء أيّ المستثنى فيه نقيض التالي، لأنها لامتناع الشيء لامتناع غيره. ولهذا لا يصّح باستثناء نقيض التالي، يعني لأنّ انتفاء التالي معلوم من وضع لو فقال السيد وأمّا قوله:"وهذا غلط" فهو أيضا من ذلك النمط، إذ ليس تسليم القياسة والحكم بعدم استحالة النتيجة بيانا لما هو المختار عنده في دفع السؤال، بل هو مبالغة في دفعه تنزلا بعد تنزه بحسب ما يمكن".

وتجويز العلامة القباري أن يكون قول السعد، وهذا غلط إلى الخير إشارة إلى السؤال لا إلى الجواب حتى لا يرد التشنيع فيه نظراً لأن قوله عقبه وكيف يصّح أن يعتقد الخير يأباه، نعم الوجه الثالث وإن لم يرد بما قاله السعد يرد بأن ما جعله محالا جائز أن يستلزم المحال، وهو على الخير

فيهم مضمون المقدم، وليس كذب الشرطية بكذب طرفيها أو إحداهما به بكذب اللزوم بينهما فمن صدق صدقت أو كذب كذبت، ولا التفات إلى الطرفين.

فقد يكونان صادقين نحو إن كان زيد إنسانا فهو ناطق وكاذبين، نحو إن كان زيد حجرا، فهو جماد ومختلفين نحو إن كان زيد حمارا فهو حيوان، مع صدق القضايا الثلاثة، وصدق النتيجة لازم عن صدق المقدمتين لا عن صدق أجزائهما، فلا علاقة بين استحالة المقدم واستحالة النتيجة به، إذا صدق اللزوم كفى، وأيضا فتسليم كونهما كليتين لزوميتين يوجب استحالة الكبرى، ومن ثمّ استحالت النتيجة الأصّح، إلاّ أن يرعى أيضا مخصوصة.

[الورقة14] أي ولو أسمعهم وهم على ما طفوا عليه من الشرّ وعدم علم الخير فيهم لتولوا، فلا إنتاج ولا قياسية لعدم إتحاف لوسط كما تقدم، ثمّ قال في المطول بل الحق أن قوله لو علم فيهم خيرا وارد على قاعدة اللغة، يعني أن سبب عدم الإسماع عدم العلم بالخير فيهم، ثمّ ابتدأ قوله ولو أسمعهم لتولوا كلاما آخر على طريقة لو لم يحقّ الله لم يعصه، يعني أنّ التولي لازم على تقدير الإسماع فكيف على تقدير عدم السماع فهو دائم الوجود كذا ذكروا.

قال شيخنا أبو حفص سيدي عمر الفاسي رحمه الله تعالى في حاشية المغني هذا القدر لا يرفع الإشكال إذ يكف تقديره، فهكذا لما كان الجزاء لازما للشرط، كان التولي لازما للإسماع بمقتضى القضية الثانية وإن كان أعمّ منه لتحققه بدونه والإسماع لازما لعلم الخير فيهم بمقتضى القضية الأولى ولازم اللازم لشيء لازم لذلك الشيء، فيكون التولي لازما لعلم الخير فيهم، وهذا اللازم مستحيل وهذا قياس اللزومية بل نقول يصّح أن ينتظم من هاتين القضيتين قياس من الشكل الأول، إذ قاعدته أنّ لازم

اللازم لازم وإن لم يقصد إلى ذلك في الآية، ولو لم يسلم اللزوم فلا أقلّ من المصاحبة، فالتولي مصاحب للإسماع.

والإسماع مصاحب لعلم الخير فيهم فليكف التولي مصاحبا لعلم الخير فيهم لأنّ مصاحب المصاحب لشيء به مصاحب لذلك الشيء، وذلك باطل فلا محيد عن بيان ما تنتفي عنه القياسية كالمغايرة بين الإسماعين حتىّ لا يكون اللزوم في الأولى هو الملزوم في الثانية.

ثمّ قال في المطوّل: "وأقول يجوز أن يكون التولي منتفيا بسبب انتفاء الإسماع، كما هو مقتضى أصل لو كان التولي هو الإعراض عن الشيء، وعدم الانقياد إليه فعلى تقدير عدم إسماعهم ذلك الشيء، لم يتحقق منهم التولي والإعراض عنه، ولم يلزم من هذا تحقق الأشياء"، قال: "فإن قيل انتفاء التولي خير وقد ذكر أنّ لا خير فيهم قلنا لا نصح إن انتفاء التولي يسبب انتفاء الإسماع خير وإنّما يكون خيرا لو كانوا من أهله بأن أسمعهم شيئا ثمّ انقادوا إليه ولم يعرضوا، وهكذا كما يقال لا خير في فلان لو كان به قوة لقتل المسلمين، فإنّ عدم قتل المسلمين [الورقة15] بناء على عدم القوة والقدرة ليس خيرا فيه".

ويرد أيضا بأن التولي لازم للإسماع، والإسماع لازم لعلم الخير فيهم، ولازم اللازم لشيء لازم لذلك الشيء، وهو مستحيل إلى آخر ما سبق في ردّ ما قبله، وذلك أنّ الجزاء لازم للشرط في جميع أقسام لو وغيرها من أدوات الشرط.

نعم قد فسرّها صاحب الكشاف التولي بما يقتضي عدم توقفه[1]

---

(1) يعني: ولو لطف بهم لما نفع فيهم اللطف، فلذلك منعهم ألطافه. أو ولو لطف بهم فصدقوا لارتدوا بعد ذلك وكذبوا ولم يستقيموا، وقيل: هم بنو عبد الدار بن قصي لم يسلم منهم إلا رجلان: مصعب بن عمير، وسويد بن حرملة: كانوا يقولون: نحن صم بُكم عُمي عما جاء به محمد، لا نسمعه ولا نجيبه، فقتلوا جميعاً بأحد، وكانوا =

علـى الإسـماع وهـو عـدم الـنفع والانـتفاع، ولاشـكّ أنّ عمـد نفـع الـشيء والانـتفاع بـه لا يـتوقف علـى وجـوه، وأمّـا قـول شـيخنا أن مـا ذكـره ثانـيا مـن أنّ التولـي الخيـر هـو الإعـراض لا يـتحقق مـا لـم يكـن إسـماع يـبطن مـا ذكـره أولا مـن أنّ التولـي لازم علـى تقديـر الإسـماع وعلـى تقديـر عدمـه، فهـو دائـم الوجـود فجـوابه أنّ الأول قـول غيـره كمـا نـبّه علـيه بقـوله:" عقـبه كـذا ذكـروا وهـو غـرة غيـر مـرض فـإذا ذكـر مـا يخالفـه عقـبه بقـوله، وأقـول يجـوز أن يكـون التولي منتفيا الخير.

لكـن ردّه شـيخنا أيـضا بانتـضابه أنّ المقـصود ربـط عـدم التولـي بعـدم الإسـماع وتعلـيقه بـه، ولـيس كـذلك قـال المقـصود بيان أنّ الإسـماع معـد عـدم الخيـر فـيهم لا يـنفع بـل يتـرتب علـيه نقـيض المقـصود مـن الإذعـان والقـبول، وهـو التولـي وعـدم الانقـياد وهـذا كمـا تقـول لمـن طلـب مـنك نـصح فـلان لـو كـان مـن أهـل الخيـر لنـصحته، لمـنه لـيس مـن أهـل الخيـر فـلا أنـصحه، ولـو أنصحه ما قبل فيضيع عليّ نصحي.

أيّ ولـو نـصحته مـا طـبع علـيه مـن الـشرّ مـا قـبل وأنـت خيـر، بـأن لـو هـذه ليـست بمنـزلتها فـي لـو جئتنـي لأكـرمتك، إذ لا يـصّح اسـتثناء نقـيض المقـدم كمـا فـي قـوله:" ولـو دامـت الـدولات الخيـر". ولـو طـار ذو حافـر قـبلها، أبيت بل هي بمنزلتها في قوله:

ولـــو وضـــعت الهـــام لـــم تفـــق   مـــن الجـــدع إلا والقلـــوب خـــوال

وهـي غيـر امتناعـية بـل هـي بمنـزلة أن، أيّ إن أسـمعهم تولـوا لكـن جـيء بلـو قـصدا إلـى أنّ إسـماعهم كأنـه أمـر قـد جعـل مـنه أيـأس وصـار فـي

=

أصحاب اللواء. وعن ابن جريج: هم المنافقون. وعن الحسن: أهل الكتاب. أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت: 538هـ)، الكشاف، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1995، ج2، ص: 351.

حكم ما قطع بانتفائه، قال فليقل جعلها بمعنى أن يقتضي استقبالها وهو رأي المبرد. وهو إن كان ثابتا لكنه قليل قلت هو مقبول عند المحققين وقلته نسبية.

[**الورقة16**] على أنه يقال حتى بمجرد الربط والتعليق لا تفيد المعنى والاستقبال فليتأمل، وتكون لو الأولى إذا كانت الثانية استقبالية على ما قدره لمجرد الربط، لأنّ المعنى حينئذ ولو علم الله في الحال فيهم خيرا لأسمعهم في المستقبل، ولو أسمعهم فيه لتولوا وأقول ما ذكره من كونها بمعنى أن لا يرفع الإشكال أيضا لما تقدّم ما لم يغاير بين الإسماعين كما قرره به في المغني وما ذكره السعد معنى صحيح يحسن تخريج الآية عليه مع المغايرة بين الإسماعين أيضا.

أيّ هم من الشرّ بحيث يحصل منهم التولي متى وجد الإسماع، وما منع من توليهم إلاّ عدم إسماعهم. فهذا الإسماع غير الأول، لأنه ليس مع علم الخير فيهم، بل هو مصاحب لما طبعوا عليه من الشرّ، واعتراضه بأنه ليس المقصود.

تعليق عدم التولي بعدم الإسماع وأنه لا يصّح استثناء نقيض المقدم ممنوع، فليتأمل قلت وظهر لي وجه آخر وهو أن تكون الأولى للتعليق في الماضي، والثانية للتعليق في المستقبل، والمراد أن الشرّ لازم لهم فلم ينفك عنهم في ما معنى ولا ينفكّ في المستقبل، فلذلك منعهم الله الإسماع في الماضي ويمنعهم إيّاه في المستقبل. ولا قياسة لتغاير الإسماعين في الماضي والاستقبال.

والحاصل أنّ الصحيح في تخريج الآية أنّ لو الثانية بمنزلتها في لو جئتني لأكرمتك أو بمعنى أن مع المغايرة بين الإسماعين كما تقدم في الوجهين الأولين من أوجه صاحبها المغني أو الماضي والاستقبال، وأمّا الكبرى غير كلية فإنمّا يفيد دفع القياسية التي هي منشأ الإشكال. لا

التخريج والله أعلم بمراده وموفق من شاء من عباده وفاتح الفهوم وميسر العلوم ومولي الإنعام بالتمييز بين الآراء والأفهام، وناصر الحق المبين نعم المولى ونعم النصير.

وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه أجمعين. انتهى بحمد الله وحسن عونه وتوفيقه الجميل تقييد الشيخ الطيب عبد المجيد بن كيران رحمه الله تعالى ونفعتنا بركاته. آمين.

رسالة السلطان مولاي سليمان
إلى أمير مكة سعود وشريكه في الحركة
للشيخ الطيب عبد المجيد بن كيران الفاسي

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلِّ الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

من ملكه الله أزِمَّةَ العرب وقيادتها، فأحسن سياستها وأصلح سيرتها ومهّد بلادها، ويسّر على يديه حسنة أمن السابلة من القطاع والنهاب، وتيسير وصول الحجاج والعمار والزوار إلى نيل الأوطار والآراب، فأصبح، وقد أحرز بذلك الثناء والثواب، وحصل به في الدارين أفضل جزاء وحسن مآب، أخونا في الله فلان. حفظكم الله من جميع الأسواء وأدام عليكم سبوغ النعماء وسلام عليكم ورحمة من الله نامية وبركات متزايدة وأياد صافية ومنن مترادفة وعافية غير عافية.

وبعد، فإنا نحمد إليكم الله الذي هداكم وهدى بكم.

فلقد سرنا ما بلغنا عنكم من سيرتكم وشيمكم وأحوالكم من الزهد في الدنيا وإحياء رسوم الدين والحض على طريق السلف الصالح وسنن المهتدين والحمل على إخلاص التوحيد لرب العالمين وقطع البدع والضلالات التي هي منشأ زيغ العقائد وكثرة الجهالات. وما برحنا عنكم ما قد أصبتم فيه كل الإصابة ووافقتم فيه كتب العلماء ومذاهب السلف والصحابة كما لا يخفى على من درس موطأ الإمام مالك وما في الصحيحين، وطالع مسند الإمام الأوحد الزاهد أحمد بن

حنبل أمير المؤمنين في الحديث بلا مَين.

ومذهبنا معشر المالكية، مبني على ما أنتم عليه من سد الذرائع وإبطال البدع والمحدثات، ولا نكفر مع ذلك أحدا بذنب من أهل القبلة ولا من أهل الأهواء في المعتقدات، إلا من خرج ببدعة عما علم من الدين ضرورة كَمُنْكِرٍ علم الله تعالى بالجزئيات. وعلى هذا إمام أهل السنة أبي الحسن الأشعري والأئمة الأربعة، وهو المريد بالقطعيات.

أخرج الطبراني عن أنس قال: خرج علينا رسول الله ﷺ فقال: "إن بني إسرائيل افترقوا على إحدى وسبعين فرقة، وستفترق هذه الأمة على اثنتين وسبعين فرقة كلها على الضلالة إلا السواد الأعظم. قالوا: من السواد الأعظم؟ قال: من كان على ما أنا عليه وأصحابي. من لم يمار في دين الله، ولم يكفر أحدا من أهل التوحيد بذنب، غفر له. [1]"

وروى البيهقي بسند صحيح أن جابر بن عبد الله سئل: هل كنتم تسمون شيئا من الذنوب كفرا أو شركا أو نفاقا؟ قال: معاذ الله، ولكنا نقول مؤمنون مذنبون. فالفاسق إذا مات بلا توبة في المشيئة الآية ﴿ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [2]، وهي مخصصة لعمومات العقاب. فإن عوقب لم يخلد، بل نقطع بخروجه ودخوله الجنة، كما صح في أحاديث الشفاعة المتواترة، وفي ما رواه البزّار والطبراني بإسناد صحيح: "من قال لا إله إلا الله، نفعته يوما من دهره. يصيبه قبل ذلك ما أصابه "[3].

---

(1) شمس الدين الحنبلي، لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية، مؤسسة الخافقين ومكتبتها، دمشق، ط2، 1982، ج1، ص: 10.

(2) النساء: 48.

(3) أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، المعجم الأوسط، تح: طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين - القاهرة، ط1415، ج6، ص: 274.

فارتكاب الكبيرة لا يزيل اسم الإيمان خلافا للمعتزلة في أن مرتكبها غير مؤمن ولا كافر، فيخلد في نار دون نار الكفار، وخلافا لقول الخوارج أنه كافر. ولا نكفر نافي الرؤيا وخلق الله تعالى لأفعال العباد. واختلف في من يقول بخلق القرآن، فأطلق قوم أنه كافر وثبت عن الشافعي. وقال آخرون مبتدع لا كافر. وتأول البيهقي قول الشافعي على كفران النعم دون الخروج عن الملة ورد بأن الشافعي أفتى بضرب عنق القرد لقوله بذلك.

ولعل ما ينقل عنكم من تكفير جفاة الأعراب إنما هو في من استحق ذلك منهم باعتقاد ما يخالف ما علم من الدين ضرورة، إذ الظن بكم التبت في الأمور لاسيما في هذا المقام الصعب. فلا يخفى عليكم ما ورد في تكفير عوام المسلمين من التشديد وغاية الوعيد الشديد، لحديث مسلم وجامع الترمذي عن ابن عمر مرفوعا: «أيما امرئ قال لأخيه كافر فقد باء بها أحدهما إن كان كما قال وإلا رجعت عليه»[1]. ولأبي داود عن أبي هريرة رفعه: «أيما رجل كفَّر رجلا مسلما، فإن كان كافرا وإلا كان هو الكافر»[2]. وهذه مبالغة أو وعيد بأن لا يختم له بالإيمان. عصمنا الله وإياكم.

وللبخاري عنه وله، وللإمام أحمد عن ابن عمر رفعاه: "إذا قال رجل لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما"[3]. والأحاديث في هذا أكثر من أن تحصى. وانظر قوله

(1) أبو بكر البيهقي، السنن الكبرى وفي ذيله الجوهر النقي، مجلس دائرة المعارف النظامية الكائنة، حيدر آباد، (د ت ط)، ج10، ص: 208.

(2) ابن حجر، إطراف المُسْنِد المعتَلِي بأطراف المسنَد الحنبلي، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، بيروت، ج3، ص: 560.

(3) مثل قوله ﷺ: " لا ترجعوا بعدي كفارا، يضرب بعضكم رقاب بعض"، ومثل قوله ﷺ: " سباب المسلم فسوق وقتاله كفر". راجع: البخاري: العلم (121)، ومسلم: الإيمان =

تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ [1] ﴾...إلى قوله: ﴿ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا ﴾[2]. وفي الصحيح أن المصطفى قال لأسامة: "أقتلته بعد ما قال لا إله إلا الله؟ فكيف تصنع بلا إله إلا الله إذا جاءت يوم القيامة؟" ولما اعتذر بأنه قالها خوفا من السلاح، قال: "هلا شققت عن قلبه؟[3]".

وانظر ما تواتر من قوله ﷺ: "أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله"[4]. فاكتفى من جفاة الأعراب بالشهادة حتى يثبت موجب انتفاء العصمة. ومما اشتهر بين علماء الأمة، وذكره غير واحد كالتقي السبكي والبيضاوي أن الغلط بترك ألف كافر أهون من الغلط بسفك محجمة دم امرئ مسلم.

وكيف يتوهم أو يلتبس على أمثالكم الفرق بين المشرك الذي يسجد للصنم وهو يرى أنه يجلب ويدفع ويعصم من الأسواء، وأنه لا ترد شفاعته، بل تعتبر لا محالة من غير احتياج إلى إذن حتى قال تعالى معرضا بهم: ﴿ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦ ﴾[5]، ﴿ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنۡ أَذِنَ

=

(65)، والنسائي: تحريم الدم (4131)، وابن ماجه: الفتن (3942)، وأحمد (4/358، 4/ 363، 4/366)، والدارمي: المناسك (1921).

(1) النساء: 94.

(2) النساء: 94.

(3) أبو إسحاق النيسابوري، الكشف والبيان، دار إحياء التراث العربي، تح: الإمام أبي محمد بن عاشور، بيروت، ط1، 2002، ج3، ص: 369.

(4) صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان، إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط3، 2002، ج1، ص: 15.

(5) البقرة: 255.

لَهُۥ ﴾[1]، ﴿ يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُۥ قَوْلًا ﴿١٠٩﴾ ﴾[2]، ﴿ وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٩٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ هَلْ يَنصُرُونَكُمْ أَوْ يَنتَصِرُونَ ﴾[3] ثم قال: ﴿ قَالُوا۟ وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[4] أي في استحقاق العبادة والنفع والضر. وقال: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ﴾[5].

قال في النهاية: الأنداد جمع ند بالكسر، وهو مثل الشيء الذي يضاده في أموره ويناده، أي يخالفه. انتهى. وفي المصباح: ولا يكون الند إلا مخالفا"[6]. وبين المسلم والمستغيث بنبي أو ولي، مع اعتقاد أن الله هو المعطي المانع الضار النافع، وإن ما يستغيث به ويرغب إليه على وجه أن يشفع له عند الله استصحابا للإذن العام في الشفاعة للمسلمين وقضاء حوائجهم أو إسنادا لما يحدث له من إلهام أو كيفية يعلمها الله، وظن قبول شفاعته لمكان خصوصيته.

ولا يمنع من ذلك كونه ميتا فإن الأرواح بعد مفارقة الأجساد داركة عالمة بأحوال الأحياء غالبا، كما تواطأت به الآثار المتكاثرة المفيدة لليقين. قال تعالى: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ﴾[7] والذائق لا بدّ أن يبقى بعد المذوق. وقال ﴿ كَلَّآ إِذَا

(1) سبأ: 23.

(2) طه: 109.

(3) الشعراء: 92.

(4) الشعراء: 98. (5) البقرة: 165.

(6) ابن حديدة الأنصاري، المصباح المضيء في كتاب النبي الأمي ورسله إلى ملوك الأرض من عربي وعجمي، تح: محمد عظيم الدين، علم الكتب، بيروت، ج2، ص: 253.

(7) آل عمران: 185.

بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ ﴾[1]... إلى قوله ﴿ ٱلۡمَسَاقُ﴾ والمسوق الأرواح.﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتَۢاۚ بَلۡ أَحۡيَآءٌ ﴾[2] إلى آخره.

وأحاديث نعيمها وتعذيبها، وأن أهل القبور يسمعون سلام الزائر ويردون ويعلمون أحوال أهل الدنيا، وأن الأرواح تتلاقى وتتزاور كثيرة جدا. قالوا ولكل روح بجسمها اتصال معنوي. أما الأنبياء فأحياء حقيقة، على ما للحافظ الأسيوطي في تأليف سماه: «إنباء الأذكياء بحياة الأنبياء».

وبالجملة ليس لنا أن نكفر إلا بإنكار ما علم من الدين ضرورة، وكل ما لا يخالف إجماعا ولا نصا صريحا قطعيا، فمرجعه إلى نوع الجهاد. فليكن رد العلماء فيه، بعضهم على بعض، برفق مع الجزم بأن المصيب في العقليات واحد وهو من صادف الواقع، كقولنا بأن الباري سبحانه يرى في الآخرة وأنه الخالق لأعمال العباد، وأن صفات المعاني قائمة بالذات العلية، وأنه، تعالى أن يكون في ملكه ما لا يريد، أو لا يكون ما يريد.

أما الأحكام الفقهية العلمية فقد اختلف هل كل مجتهد فيها مصيب أو المصيب فيها واحد؟ وعليه الأكثر. فالأَنَةُ القول فيها مع الخصوم أجدر. وقد أفاد الغزالي في «الإحياء» في الباب الرابع من كتاب العلم، شروط المناظرة والجدل وآفاتهما، فلينظر.

وليحذر العالم من التشغيب وقلة الإنصاف للحق بعد ظهوره واللَّجاج فيه. وانظر كيف كانت مناظرة الإمام أحمد رضي الله عنه مع خصومه في المعتقدات وغيرها بإيضاح الحق بأدلة ومظاهرة، والاحتيال في إيصاله إلى الأفهام حتى يزول الالتباس والاشتباه، وفي هدم الباطل بحل

(1) القيامة: 26.

(2) آل عمران: 169.

الشبه بلا تعنين ولا تشغيب. وقد كانت البدع والأهواء طافحة في وقته، فكان يتلطف في ردها وإبطالها، وهذا كله مما سبق إليه الكلام. وليس بخاف على أمثالكم ممن هو بصدد تحقيق الحق وإقامة الأحكام. وأكثر ما تنكروه على مرتكبيه هو عندنا معشر المالكية صحيح أو مكروه أو مختلف فيه.

فقد قال علماؤنا يكره البناء على القبور[1] أو التحريز، وسواء كان الميت ملكا أو عالما أو شريفا أو سلطانا أو غير ذلك. وإن بوهي به حَرُمَ. وجاز البناء الخفيف للتمييز بحجر وخشبة بلا نقش. وقد صحح الحاكم في المستدرك أحاديث النهي عن البناء والكتابة على القبور، ثم استخف الكتابة فقط بأن أئمة المسلمين شرقا وغربا مكتوب على قبورهم. وَبَسْطُ المسألة والخلاف فيها يطول.

وذكر علماؤنا أيضا أن الوُقود على قبر الولي ووضع الستور عليه ليس بقربة بل هو مكروه، ومن نذر مالا لذلك أو نذره لعينه لم يلزمه، لكن من وضع يده نذر لذلك وجب عليه بمنزلة شرط الواقف المكروه، فإنه يتبع. وقد بسط صاحب «المدخل» الكلام في هذا وغيره.

ومن كلامه، ولا بأس بذكر اسم الصالحين والعلماء والأولياء ما لم يكن منقوشا على القبر أو على الجدار أو في ورقة ملصقة هنالك. وإذا كان هذا فما بالك بالشمع الكبير الغليظ الذي ليست به حاجة للوقود. ولو كان سائغا فلم يبق إلا أن يكون إضاعة مال. وكذلك يمنع ما يفعله بعضهم من تعليق قنديل على قبر من كان مشهورا بالخير، والناس يعتقدونه ليأتي الناس إلى مكان الضوء ليزوروا. فلينظر تمامه.

(1) ابن سالم النفراوي، الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني، تح: رضا فرحات، مكتبة الثقافة الدينية، المدينة، ج2، ص: 680.

ومـن المختلف فيه زيارة قبور الصالحين. فذكر ابن أوب في اختصار الرسالة العلمية للقشيري أن ذلك ليس من طريق القوم، أي الصوفية. وذكر ابن العربي من علماء المالكية أنه لا يزار قبر لينتفع به غير قبر نبينا ﷺ. وقال الشَّارِمْسَاحِي: قصد الانتفاع بالميت بدعة. قيل وهذا ينظر إلى سد الذرائع وحسم مادة البدع المحرمة المتطرقة في ذلك. وجعلها الغزالي من العبادة واعتمده صاحب المدخل وعمل عليه الجماهير الذين لا يحصون، وحض على ذلك الشيخ إبراهيم التازي في قصيدته المشهورة التي تلقاها العلماء بالقبول وأولها:

زيارة أرباب التقى مرهم يبري

ومفتاح أبواب السعادة[1] والخير[2]

إلى أن قال:

عليك بها فالقوم باحوا بسرها

وأوصوا بها يا صاح في السر والجهر[3]

ثم قال:

ولا فرق في أحكامها بين سالك قرب

ومجذوب وحي وذي قبر

وقال مالك في رواية ابن وهب: إذا سلم زائر القبر الشريف على المصطفى يقف للدعاء مستقبلا القبر الشريف لا القبلة. وقد سأله الخليفة المنصور: أيهما يستقبل؟ فقال: لِمَ تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك

---

(1) كذا في الأصل والصواب ومفتاح أبواب الهداية.

(2) ينسب هذا البيت إلى أبي حامد الغزالي.

(3) أبي جعفر أحمد بن علي البلوي الوادي آشي، ثبت أبي جعفر أحمد بن علي البلوي الوادي أشي، تح: عبد الله العمراني، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1403هـ، ص: 330.

ووسيلة أبيك آدم إلى الله عز وجل. وقال مالك في المبسوط: لا أرى أن يقف يدعو، لكن يسلم ويمضي. وجمع الشيوخ بين قوليه بأن مثل المنصور يعلم ما يدعو به. وآداب الدعاء بين يديه ﷺ، فأمن عليه سوء الأدب، فأفتاه بذلك وأفتى العامة أن يسلموا وينصرفوا، لئلا يواجهوه بالتوسل به إلى الله أو يدعوا بما يحرم أو يكره أو يلغوا جهلا منهم.

وقد حذر الشيوخ مما يفعله بعض الجهلة من الطواف بالقبر الشريف والتمسح بالبناء وإلقاء المناديل والثياب عليه. وقد تقرب بعض العامة بأكل الزبيب في الروضة الشريفة وإلقاء شعورهم في القناديل. وكل ذلك من المنكرات.

وإذا كَرَّه مالك دعاء العوام عند القبر الشريف، فما بالك بغيره من قبور الصالحين. فإن زيارة العوام لقبور الصالحين لا يخلو غالبا من سوء مقالات وظهور جهالات، فَمَنْعُهُمْ منها حتى يعلموا ما يقولون سواء قياسا على ما في الآية ﴿ لا تَقْرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ ﴾ الآية[1]. وحديث مالك: "فلعله يذهب يستغفر، فيسب نفسه بجامع الخوف من التكلم بالجهل وما لا يليق بجانب الباري سبحانه."

ومن المختلف فيه أيضا، تقبيل كل معظم شرعا، وقد أخذ بعضهم الجواز من مشروعية تقبيل الحجر. وقد ورد في وفد عبد القيس أنهم أكبّوا يقبلون يدي المصطفى ورجليه وكذا تمريغ الوجه في الأماكن الشريفة. قالوا ومذهب كثير من العلماء وخصوصا المالكية الكراهة في غير ما ثبت في الشرع كتقبيل الحجر. وقد نهى مالك عن تمريغ الوجه على الحجر. وكان يفعله إذا خلا به. هذا وفي المدونة، وهي أجل كتب المالكية، ولو قال على جزور أو أن أنحر جزورا، فلينحرها في موضعه. ولو نوى موضعا

(1) النساء: 43.

أو سماه، فلا يخرجها إليه، كانت الجزور بعينها أو بغير عينها. وكذلك إن نذرها لمساكين بلده وهو بغيرها، فلينحرها بموضعه ويتصدق بها على مساكين من عنده. وَسَوْقُ البُدْن إلى غير مكة من الضلال انتهى. وهذا كله من سد الدرائع.

وكرامة الأولياء لا تنكرونها في ما بلغنا عنكم، كيف وإنما أنكرتها المعتزلة وأثبتها جميع أهل السنة، وقال جمهورهم ما جاز أن يكون معجزة لنبي جاز أن يكون كرامة لولي لا فرق بينهما إلا التحري وعدمه وهي متواترة معنى، فلا حاجة للتطويل.

وهذا القدر كاف في هذه الرسالة المبنية على الاختصار دفعنا بها أن تظنوا بنا أنا ممن ينحو منحى الاعتراض عليكم والإنكار. ولما اتضح لدينا قصدكم وخلوص طويتكم في الذب عن الدين ولحقنا احتياطكم وحياطتكم للمسلمين ومنعكم الجار وإن جار، فكان بكم من اللائذين ومحافظتكم على الشيم العربية والمكارم الشرعية، مقتفين بذلك منكم مبتهجين، وأنكم لا تعترضون للمغاربة الحجاج والعمار والزائرين لم يبق وجه في احتباسهم عن أداء الفريضة والسنة، وجهناهم وأحللنا ولدنا وسطهم في هذه السنة ملتمسين أجر تلك الخطى وأن يحط بها عنا الوِزر والخطأ، وأن نكون ممن ندب إلى الطاعة وكان عليها من المسعدين.

وإنك لخليق أن تسلك بهذه الأمة أحسن المسالك وأن تكون عليها من المشفقين، فأحسن جوارها أحسن الله إليك ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾[1]. ولا تصغ إلى واش يخادع الله وهو خادعه ولا يحيق مكر السوء إلا به والله خير الماكرين. عصمنا الله وإياكم من كيد الشيطان وجعلنا

(1) البقرة: 195.

ممن اضطره إلى استثنائهم بقوله ﴿ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾[1]، وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد سيد الأولين والآخرين وعلى آله وأصحابه أجمعين وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

انتهى من خط مبدعها ومنشئها بلا واسطة للسلطان مولانا سليمان بن مولانا محمد بن عبد الله بن إسماعيل، شيخنا المحقق المحرر بقية المحققين وإمام المفسرين سيدي الطيب بن عبد المجيد بن كيران الفاسي أعاد الله علينا من بركاته. وكتبه تلميذه أسير ذنبه عبد المالك بن عبد الكريم الهوزالي لطف الله به آمين.

(1) الحجر: 40.

نظم الجمان في شرح نظم ابن كيران في البيان

تأليف العلامة القاضي سيدي أحمد سكيرج الأنصاري الخزرجي[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلِّ الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما

[نظم الجمان]

الحمد لله الذي أبان مجاز الحقيقة، لكل من تمسك بحبل الشريعة، فاستنار قلبه بنور الهداية، حتى صارت نفسه الأمارة بالسوء لمولاها مطيعة، والصلاة والسلام على من أرسله الله للعالمين رحمة، يعسوب الأرواح وينبوع كل حكمة والواسطة في كل نعمة.

محمد سيد الكونين والثقلين ... والفريقين من عرب ومن عجم

وعلى آله المطهرين من الرجس تطهيرا، وعلى أصحابه الذين أنار الله بهم طريق الحق تنويرا، وعلى كل من اقتفى أثرهم على ممر الأزمان. وبعد فيقول أفقر العبيد إلى مولاه الراجي مغفرته ورحماه، من لم يزل على أبواب فضل ربه يعرج، أحمد بن الحاج العياشي سكيرج، كان الله له ولوالديه، وأحسن لهما وإليه مع سائر

(1) قام بنشر هذه الرسالة أستاذنا الفاضل الراضي كنون كان الله له ولعائلته؛ غير أننا تحصلنا على نسخة أخرى من بعض شيوخ الزوايا التيجانية فجزاهم الله عنا كل خير.

المسلمين، وجعل الجميع من المقربين لديه آمين.

لما سأل مني بعض الشرفاء الأعيان، أصلح الله لي وله الأحوال في كل مقام مدى الأحيان، أن أطالع معه أرجوزة العلامة المحقق الدراكة المدقق المبرز في حلبة النظم والنثر على منصة الاتقان بين سائر الأقران، **الشيخ الطيب بن عبد المجيد ابن كيران** رحمه الله تعالى، التي وضعها في علم البيان. وأسعفته في مقصوده على أني في نفسي بين الأقران حقير الشأن، ولست من عداد فرسان هذا الميدان، أردت أن أجعل عليها تقييدا، يكون إن شاء الله تعالى لكل طالب مفيدا، وسميته **نظم الجمان في شرح نظم ابن كيران في البيان**، وعلى الله قصد السبيل فهو حسبي ونعم الوكيل.

قال الناظم رحمه الله: (البسملة) غير خاف عمن كان بالأمور بصيرا، أن ترك الكلام على البسملة بما يناسب الفن المشروع فيه، يرى قصورا أو تقصيرا. وذكر ذلك فيه أداء حقين: أولهما حق المشروع فيه من هذه الحيثية، وثانيهما حق البسملة من ذلك الفن كذلك، على أن ما لا يمكن كله لا يترك بعضه أو جله، فلنتكلم على بعض ذلك أداء لهذين الحقين. ومن الله أسأل الاعانة والتوفيق لسبيل الحق من غير مين، فأقول:

ابتدأ نظمه بالبسملة عملا بقوله صلى الله عليه وسلم" أول ما كتب القلم في اللوح المحفوظ بسم الله الرحمن الرحيم، فإذا كتبتم كتابا فاجعلوها في أوله وفي رواية" أول ما كتب القلم بسم الله الرحمن الرحيم، فإذا كتبتم كتابا فاكتبوها أوله، وهي مفتاح كل كتاب أنزل، ولما نزل عليّ جبريل أعادها ثلاثا، وقال: هي لك ولأمتك، فمرهم أن لا يدعوها في شيء من أمورهم، فإني لم أدعها طرفة عين، فقد نزلت على أبيك آدم عليه السلام، وكذلك الملائكة وخوفا من الوقوع فيما ورد عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال:" كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه ببسم الله الرحمن الرحيم فهو أجذم، وفي رواية" كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه ببسم الله الرحمن

الرحيم أقطع".

وفي رواية كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه ببسم الله الرحمن الرحيم فهو أبتر". الروايات الثلاث مختلفة وفي هذا الحديث روايات بسطنا الكلام عليها في غير هذا التقييد نظما ونثرا والله الموفق. ومما يتعلق بها من هذا الفن مباحث:

[المبحث الأول]

الأول في بابها: اعلم أولا أنّ الباء لها معان أشار لها الشيخ ابن عبد الرحمن اليبدري بقوله على سبيل التورية:

تعد لصوقا واستعن بتسبب وبدل صحابا قابلوك بالاستعلا
وزد بعضهم إن جاوز الظرف غاية يمينا تحز للبا معانيها كلا

قال المحقق الصبان في رسالته:" فإن قلت ورود الباء كغيرها من حروف الجرّ لمعان مختلفة هل هو على طريق الاشتراك اللفظي أو الحقيقة أو المجاز؟ قلت:" المعاني المختلفة الوارد لها حرف الجرّ إن تبادرت منه كالاستعانة والمصاحبة والسببية والتعدية الخاصة بالنسبة للباء، فحقيقة، فيكون الحرف مشتركا بينها لأنّ التبادر علامة الحقيقة. ولا حاجة لتكلف معنى كلي جامع لتلك المعاني وجعله الموضوع له الحرف إلى آخر كلامه.

[الاختلاف في أصالة الباء]

واعلم أنه اختلف في أصالة الباء من البسملة ومعانيها، فقيل بزيادتها، فيكون اسما مرفوعا بالابتداء تقديرا لا محلا، كقولك بحسبك درهم، والخبر محذوف، والتقدير اسم الله مبدوء به، أو أبدأ به بداءة قوية، أي بحسن إخلاص ونية، وأخذنا ذلك من كون الحرف الزائد يدل على التأكيد كما الرضى، وإلا كان عبثا لا يقع من العرب، وقولهم الزائد لا معنى له، أي غير التأكيد، ففي الباء مجاز بالزيادة على هذا القول، ومجاز بحذف الخبر على قول من يقول إن الحذف مجاز مطلقا، وقيل بأصالتها، وحقيقتها الإلصاق الذي لا يفارق الباء، وعليه اقتصر سيبويه، والإلصاق ينقسم إلى قسمين، حقيقي كأمسكت بزيد، إذا قبضت على شيء من جسمه، أو على ما يحسه من يد أو نحوه.

[من باب المجاز والاستعارة]

ومجازي نحو قولك: مررت بزيد، أي ألصقت مروري بمكان يقرب من زيد، ثم استعملت هنا في غير معناها الأصلي، وهو الاستعانة على وجه الاستعارة التبعية كما سيقول الناظم:

وانسب إلى التبغ إن تقع في صفة أو فعل أو في حرف

[من باب المجاز المرسل]

ولك أن تجعلها من قبيل المجاز المرسل علانية الاطلاق والتقييد وتقرير الاستعارة على الأول شبهة الارتباط على وجه الاستعانة بالارتباط على وجه الالصاق بجامع مطلق الارتباط في كل مسرى التشبيه للجزئيات، فاستعيرت الباء الموضوعة للإلصاق الجزئي للاستعانة الجزئية على طريق التبعية. وعلى الثاني تقول: إن الباء موضوعة للارتباط المقيد بالإلصاق، فأطلقت على ذلك واستعملت في الارتباط على وجه الاستعانة.

[المطلب الرابع في معانيها]

قد اخلتف العلماء رحمهم الله في معنى الباء من البسملة فقيل للمصاحبة، وهي التي يصلح في وضعها مع كقوله تعالى" اهبط بسلام"، والمراد بالمصاحبة هنا بقرينة المقام التبرك، وقيل للاستعانة. وهذا ليس فيه سواء كما يتبادر للفهم، لأنّ الله تبارك وتعالى هو المعين.

إذا كان عون الله للمرء ناصرا تهيأ له من صعب مراده
وإن لم يكن عون من الله للفتى فأول ما يجني عليه اجتهاده

وفيها في معناها غير ذلك، والاسم في اللغة ما دل على مسمى، وفي الاصطلاح كلمة دلت على معنى في نفسهما، وتعرضت بصيغتهما للزمان، وهل الاسم عين المسمى أم لا؟ في ذلك كلام أهل السنة والمعتزلة، والحق أن الخلاف بينهما لفظي، وعلى أنه خلاف المسمى قول من قال:

لو كان من قال نارا أحرقت فمه لما تلفظ باسم النار مخلوق

[اسم الجلالة الله]

ومذهب أهل السنة هو نفس المسمى، واسم الجلالة الله علم على الذات الواجب الوجود، الموصوف بالصفات المستحق لجميع المحامد، الدال على الله تعالى دلالة جامعة لمعاني اسماء الله الحسنى، فقولنا: علم على الذات فيه رد على النصارى الذين يقولون أنه سبحانه وتعالى صفة وتلك الصفة قامت بسيدنا عيسى ابن مريم تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا، وقولنا: الواجب الوجود فيه رد على الدهرية القائلين ما هي إلا أرحام تدفع وأرض تبلغ وما يهلكنا إلاّ الدهر، وقولنا الموصوف بالصفات فيه ردّ على الظاهرية الذين نفوا الصفات كلها لا المعنوية ولا صفات المعاني وقوفا مع ظاهر القرآن والحديث.

وقولنا المستحق لجميع المحامد فيه رد على المعتزلة الذين أثبتوا الصفات المعنوية لله تبارك وتعالى ونفوا عنه صفات المعاني، تنزه الله عن ذلك علوا كبيرا. وفي قولنا الدال إلى آخره فيه اشارة إلى أنه هو اسم الله العظيم الأعظم، وعليه جمهور علماء الظاهر وجماعة من علماء الباطن، وقد ورد عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: ما بين بسم الله الرحمن الرحيم والاسم الأعظم إلاّ ما بين سواد العين وبياضها من القرب، واختلف في الأبلغ من الرحمن الرحيم، فقيل هو الأول، وقيل الثاني.

وقيل معناهما واحد، والسر في اجتماع هذه الأسماء الثلاثة في البسملة هو أنّ العرب كانت تعرف المولى جلّ علاه بهذا الاسم وهو الله، واليهود تعرفه باسم الرحمن الرحيم لأنه معرب رخمان بالخاء المعجمة، والنصارى تعرفه بالرحيم، فقدم اسم الجلالة اشارة إلى تقديم العرب على غيرهم في الأفضلية، ثم بنو اسرائيل قبل الاسم لغيرهم إلا رتبة التأخير وقيل غير ذلك ولبعضهم:

وخصص الرحمان بالتقديم ... لأنه أبلغ من رحيم

لـــرحمة دنــيا وأخــرى أبـــدا وأنـــــه بــــالله مختـــــصا بـــــدا

وفـي هـذا القـدر كفايـة، واعلـم وفقنـي الله وإيـاك لمـا يحـبه ويرضـاه، أنـه ينبغـي أيـضا لكـل خـائض فـي فـن أن يـصوره أولا ويـتكلم علـى مـبادئه العـشر، فلنذكر بعض ذلك هنا تتميما للفائدة، فأقول:

قلادة مرصعة بالدرر في الكلام على المبادئ العشر

المبادئ العشر هي المجموعة في قولي:

لكـــل علـــم عـــندهم مـــبادي عـــشرة لحاضــــر أو بــــادي
واضـــع اســـم حـــده اســـتمداد موضـــــوعه مـــــسائل مفـــــاد
وفـــــضله نـــــسبته والحكــــم فـــاحفظ فلازالـــت عـــلاك تـــسمو

وأمـا واضـعه فهـو سـيدنا علـي كـرم الله وجهـه علـى المـشهور، وقـد اشار إلى قضية وضعه ابن شعبان في ألفيته بقوله:

أول مـــن أفادنـــا الـــنحو علـــى ســـببه خلـــف حكـــاه الدؤلـــي
عـــن بنـــته التـــي نـــوت تعجـــبا فاســـــتفهمت بـــرع فعلـــه أبـــا
وقـــال قولـــي مـــا أشـــد الحـــر بالنـصب فـي الـدال الثقـيل والـرا
فاســـــتنكرت مقالـــــة أباهـــــا فاســـتخبرت عـــن مقالهـــا أباهـــا
فقـام فـي الـوقت إلـى الامـام وارث علـــــم ســـــيد الأنـــــام
وقـال عـندي يـا إمـام مـن لحـن واللحـن فـي أبنائـنا مـن المحـن
فمـا الـذي يرمـي إلـى الـصواب ومـــا طـــريق الأجـــر والـــثواب
قـال الامـام اكتـبه وخـذه منـي وانقلـــه بـــين التابعـــين عنـــي
قـال ومـا أكـتب قـال البـسملة وضـع ثلاثـا فـي الكـلام معلمـه
اســما وفعـلا ثـم حـرفا مـنها ركــبه والمعنــى يلــوح عــنها
فالاســم مــا أنــبأ عــن مــسمى والفعـــل عـــن حـــركة المـــسمى
والحـرف مـا عـداها للمقتـبس فـانح علـى ذا الـنحو ثـم زد وقـس

حكى أبو الفرج الأصفهاني في الأغاني أنّ نسب وضعه للنحو أنّ أبا الأسود دخل على بنته بالبصرة، فقالت له: يا أبت ما أشد الحر؟[1] برفع أشد وجر الحر، فظنها تستفهمه أي زمان الحر، فقال: شهرنا حر، فقالت له: إنما أردت الإخبار والتعجب ولم أستفهمك، فأتى علي بن أبي طالب فقال له: يا أمير المؤمنين ذهبت لغة العرب حين خالطهم العجم، وأخاف أن تضمحل لغة العرب، فضع لنا علما، فقال له: وما ذاك؟ فأخبره بخبر ابنته، فأمره باشتراء صفحة، فاشتراها بدرهم، وأملى عليه قوله: الكلام كله لا يخرج عن اسم وفعل وحرف جاء لمعنى، وانحو على هذا النحو، وفي رواية أنّ ابنة أبي الأسود لما قلت له: إنما أردت الإخبار والتعجب، قال: قولي ما أشد الحر، وافتحي فاك، يعني بنصبهما معا على التعجب، وإلى هذا أشار شيخنا الشريف مولاي إبراهيم العلوي رحمه الله بقوله:

فما أشد الحر بالنصب ... يرى تعجبا لدى من قد وعى
ورفع الأول وجرّ الثاني ... سمه بالاستفهام يا ذا الشان

وأما اسمه فهو من جهة الأحكام التركيبية يسمى بالإعراب، وهو المقصود هنا، ومن جهة الأحكام الإفرادية فهو التصريف، والمصنف رحمه الله لم يتعرض لهذا، وقد يطلق القسمين معا علم النحو، سمي به لقول سيدنا علي رضي الله عنه انح على هذا النحو، وهو في اللغة يطلق على معان أشار إلى بعضها ابن شعبان بقوله:

النحو في اللغة أصل ... وجهة قدر وقسم مثل

وأما حده في الاصطلاح على أنّ التصريف غير داخل فيه علم يعرف به أحوال الكلمة إعرابا وبناء، وإليه أشرت في منهج الدراية في نظم

(1) إسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط4، 1987، ج3، ص: 1244.

النقاية بقولي:

علم به يعرف أحوال الكلم إعرابا أو بنا لديهم قد وسم

وأما استمداده فهو كلام العرب، وأما موضوعه فهو الكلمات، لأنه يبحث فيه عن عوارضها الذاتية من الإعراب والبناء وكيفية التركيب وغير ذلك، وأما مسائله فهي قضاياه وقواعده، كقولنا الفاعل مرفوع، والمفعول منصوب، والمضاف إليه مخفوض، وأما فائدته فقد أشار إليها ابن شعبان في ألفيته بقوله:

فائدة النحو صلاح الألسنة والكشف عن وجه المعاني الحسنة

لأنّ به يعرف صواب الكلام من خطأه، والاحتراز عن الخطأ في اللسان، مع الاستعانة على فهم جميع العلوم عموما، وعلى فهم الكتاب والسنة خصوصا، ولذلك قال الامام مالك رضي الله عنه:" لو صرت من العلوم في غاية، ومن الفهوم في نهاية"[1]، فإنّ ذلك يرجع لأصلين كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا سبيل إليهما إلا بمعرفة اللسان العربي، وأخرج البيهقي في شعب الايمان عن شعبة:إذا كان المحدث لا يعرف النحو فهو كالحمار على رأسه مخلاة ليس فيها شعير.

مثل الطالب الحديث ولا يعـ ـرف نحوا ولا له آلاته
كحمار قد علقت ليس فيها من شعير في رأسه مخلاته

وقال الكسائي رحمه الله:

النحو علم شريف وفضل معناه باد
فربه في أمان من زيغة في اعتقاد

وأما فضيلته فهي فوقانه على سائر العلوم بالنسبة والاعتبار، فهو اصل أصيل في فهم معانيها وسلاسة مبانيها، وفي مدحه يقول أبو حيان من قصيدة:

(1) أبو الفداء إسماعيل، تفسير القرآن العظيم، تح: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط2، 1999، ج6، ص: 163.

هو العلم لا كالعلم شيء تراوده	لقد فاز باغيه وأنجح قاصده
وما فضل الانسان إلا بعلمه	وما امتاز إلاّ ثاقب الذهن واقده
وقد قصرت أعمارنا وعلومنا	يطول علينا حصرها ونكابده
وفي كلها خير ولكن أصلها	هو النحو فاحذر من جهول يعانده

وأخرج البيهقي في شعب الايمان من طريق الواقدي عن أبي الزناد عن أبيه: ما تزندق من تزندق بالمشرق إلاّ بكلام العرب وعجمة قلوبهم، وقال السيوطي في ألفيته:

النحو خير ما به المرء عني	إذ ليس علم عنه حقا يعتني

ولذلك قال صلى الله عليه وسلم: " أعربوا الكلام تعرفوا القرآن"[(1)].

وعن ابن عمر مرفوعا:" أعربوا القرآن يدلكم على تأويله"[(2)]. وعن أبي داود رضي الله عنه قال:" سمعت الأصمعي يقول:" إن أخوف ما أخاف على طالب العلم إذا لم يعرف النحو أنّ يدخل في قول النبي صلى الله عليه وسلم من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار، لأنه لم يكن صلى الله عليه وسلم يلحن، فمهما رويت عنه ولحنت فيه كذبت عليه، ومن فضائل العربية أنه لم ينزل وحي على نبي إلا بها"،[(3)] كما ورد في الحديث:" لم ينزل وحي إلا بالعربية ثم ترجم كل نبي لقومه"[(4)]. أخرجه ابن أبي الثوري، ومنها أنّ كلام الجنة يكون بها، كما نصّ عليه غير واحد من الجلة من فحول الملة.

ومن الآثار الواردة في ذلك ما ورد عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: "مر عمر بقوم قد رموا رشقا فأخطأوا، فقال: ما أسوأ رميكم، فقالوا: نحن متعلمين

---

(1) الطبراني، المعجم الأوسط، تح: طارق بن عوض الله بن محمد ،عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين، القاهرة، 1415هـ، ج7، ص: 307.

(2) رواه الحاكم والبيهقي.

(3) زين الدين العراقي، التقييد والإيضاح شرح مقدمة ابن الصلاح، تح: عبد الرحمن محمد عثمان، المكتبة السلفية بالمدينة المنورة، ط1، 1969، ص: 228.

(4) أبو الفداء إسماعيل، تفسير القرآن العظيم، ج6، ص: 163.

بالياء، فقال لهم:" لحنكم عليّ أشد من سوء رميكم"[1]، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:" رحم الله امرءا أصلح من لسانه"[2]. وقال عمر رضي الله عنه أيضا:" تعلموا العربية، فإنها تزيد في العقل والمروءة"[3].

وقال سيدنا علي كرم الله وجهه:

النحو يصلح من لسان الألكن ... والمرء تكرمه إذا لم يلحن
وإذا طلبت من العلوم أجلها ... فأجلها منها مقيم الألسن[4]

ولابن بشار وقد أجاد:

رأيت لسان المرء آية عقله ... وعنوانه فانظر بماذا تعنون
ولا تعد إصلاح اللسان فإنه ... يخبر عمّا عنده ويبين
ويعجبني زيّ الفتى وجماله ... فيسقط من عيني ساعة يلحن

وأما نسبته لباقي العلوم فهي التباين، وأما حكم الشرع فيه فهو الوجوب الكفائي على أهل كل ناحية والعيني على قارئ التفسير والحديث، وفي هذا القدر كفاية.

---

(1) المناوي، فيض القدير شرح الجامع الصغير، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1994، ج1، ص: 713.

(2) علاء الدين البرهان فوزي، كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، تح: بكري حياني - صفوة السقا، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط5، 1981، ج3، ص: 352.

(3) أبو بكر البيهقي، السنن الكبرى وفي ذيله الجوهر النقي، مجلس دائرة المعارف النظامية الكائنة، الهند، ط1، 1433هـ، ج2، ص: 18.

(4) المراد باللحن هنا: مخالفة صواب الإعراب، ويطلق أيضاً على النطق بكلمة على وجه لا يثبت عند العرب، وإن لم يكن خطأً في الإعراب، واستعمله في ذلك الفقهاء وأهل اللغة؛ كالنووي، والحريري ومما قيل في هذا الباب قول مولانا علي رضي الله عنه:

لحن الشريف يحطه عن قدره ... فتراه يسقط من لحاظ الأعين
وترى الذكي إذا تكلم معربا ... حاز النباهة بالبيان المعلن

التعريف بالمصنف رحمه الله تعالى

هو الشيخ الامام الحجة الهمام أبو عبد الله السيد محمد بن محمد الصنهاجي(1)، ولد رحمه الله سنة 672هـ وهي السنة التي توفي فيها الامام ابن مالك رحمه الله، وتوفي رحمه الله سنة 723هـ وهي السنة التي ازداد فيها ابن عرفة رحمه الله، ودفن داخل باب الحديد بمدينة فاس، صانها الله من كل باس، حكي عنه رضي الله عنه أنه ألف هذا المتن تجاه بيت الله الحرام، ولما أكمله ألقاه في البحر، وقال:" إن كان خالصا لله فلا يبتل وإلا فلا، فكان الأمر على وفق مراده، ولذلك نفع الله به جميع عباده، والله الموفق للصواب، وإليه المرجع والمآب، ثم قال رحمه الله:

" يحتمل عندي أن تكون هذه ترجمة، أي هذا باب الكلام كما فعل غير واحد، وهذا هو الراجح والمرجوح الاحتمال المقابل، وزبدا رحمه الله بالكلام عليه، لأنّ به يقع التفاهم والتخاطب، ومن الألطاف الإلهية حدوث الألفاظ اللغوية ليعبر بها عما كان في الضمير، فالكلام هنا هو المقصود بالذات، وبه يجاب عن قول بعضهم: كان من حقه أن يتكلم على الكلمة ثم يعرف الكلام لأنها مفردة وهو مركب، ومعرفة المفرد

(1) ابن آجروم: (672 - 723 هـ=1273 - 1323م) محمد بن محمد بن داود الصنهاجي، أبو عبد الله: نحوي، اشتهر برسالته الأجرومية وقد شرحها كثيرون. وله (فرائد المعاني في شرح حرز الأماني) مجلدان منه، الأول والثاني لعلهما بخطه، في خزانة الرباط (146 أوقاف) ويعرف بشرح الشاطبية. وله مصنفات أخرى وأراجيز. مولده ووفاته بفاس المعروف بابن آجروم؛ آجروم، معناه بلغة البربر الفقير. انظر ترجمته: خير الدين الزركلي، الأعلام، ج7، ص: 33. عبد الله كنون، النبوغ المغربي، ج1، ص: 210. عبد الرحمن مخلوف، شجرة النور الزكية، ج1، ص: 312. رقم: 794. ابن القاضي، جذوة الاقتباس، ج1، ص ص: 233 - 234. ابن سودة، دليل مؤرخ المغرب الأقصى، ج1، ص: 261. رقم: 1051. أحمد بابا التنبكتي، كفاية المحتاج، ج2، ص ص: 252 - 253. درة الحجال في أسماء الرجال، ج2، ص: 109.

سابقة عن المركب، و" أل" فيه للعهد الذهني أي الكلام المعهود في الأذهان، وهو كلام النحويين، ويحتمل أن تكون عوضا عن مضاف إليه، وذلك المضاف إليه إما أن يكون اسما أو مضمرا، فيكون الأصل كلام النحويين هو كذا، أو كلامنا معشر النحويين، والمصنف من جملة النحاة هو كذا، وذلك لأنّ الكلام في كل اصطلاح بحسبه، فهو في اللغة عبارة عن القول أو ما كان مكتفيا به، فيطلق عندهم على الإشارة، ومنه قوله تعالى:﴿ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمۡزًا ﴾[1].

والرمز الإشارة ومنه قول الشاعر:

إذا كلمتني بالعيون الفواتر ... رددت عليها بالدموع البوادر
فلم يعلم الواشون ما كان بيننا ... وقد قضيت حاجاتنا بالضمائر

ويطلق على لسان الحال، ومنه قوله تعالى:﴿ يَوۡمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمۡتَلَأۡتِ وَتَقُولُ هَلۡ مِن مَّزِيدٍ ﴾[2]. وقيل كلامها يكون حقيقة، ومنه قول الشاعر:

امتلأ الحوض وقال قطني ... مهلا رويدا قد ملأت بطني

ويطلق على المعنى القائم بالنفس، وهو حديث النفس، ومنه قول الأخطل:

إن الكلام لفي الفؤاد وإنما ... جعل اللسان على الفؤاد دليلا

ويطلق على التكلم، ومنه قول الشاعر:

قالوا كلامك هندا وهي مُصْغية ... يشفيك قلت صحيح ذاك لو كانا

وهو اسم مصدر لكلم، وفي اصطلاح الفقهاء" وهو ما أبطل من حرف كم، أو حرفين كقم، أفاد أو لم يفد، إذا تعمد ذلك المصلي تبطل صلاته، وعند المتكلمين هو المعنى القائم بالذات العلية المعبر عنه بالعبارات المختلفة، المباين لجنس الحروف والأصوات، المنزه عن البعض والكل والتقديم والتأخير والسكون، واللحن والإعراب، وسائر أنواع التغيرات المتعلق بما يتعلق به العلم من المتعلقات

(1) آل عمران: 41.

(2) سورة ق: 03.

كما في المقدمات. والكلام بفتح الكاف مشتق من الكلام بكسرها جمع كلمة، وهي الجرحة جمعا قياسيا قال ابن مالك:

فعـــل وفعلـــة فعـــال لهمـــا وقـــل فـــيما عيـــنه الـــيا مـــنهما[1]

ومن إطلاق الكلام على الجراح قول الشاعر:

أجـــدك مـــا لعيـــنك لا تـــنام كـــأن جفـــونها فـــيها كـــلام[2]

والمعنى الجامع بين الاشتقاق هو التأثير في كل من الكلام والجراح، وذلك أن الكلام إذا كان حسنا أثر في النفس سرورا، وإذا كان قبيحا أثر فيها تغييرا وأضفى فيها شرورا، وقد يطلب بالكلام الطيب، وأما تأثير الكلام فلا دواء له كما قيل:

جـــراحات الـــسنان لهـــا التـــئام ولا يلـــتام مـــا جـــرح اللـــسان[3]

وقد أجاد القائل في قوله:

وداوي بلـــين مـــا جـــرحت بغلظـــة فطـــب كلامـــا المـــرء طـــيب كلامـــه

وأما الكلام بضم الكاف فهي الأرض التي لا تنبت شيئا، وإلى هذا أشار شارح مثلث قطرب[4] بقوله:

---

(1) البيت من ألفية ابن مالك، وهو البيت رقم: 808. عبد السلام التسولي، البهجة في شرح التحفة، تح: محمد عبد القادر شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1998، ج2، ص: 278.

(2) ينسب هذا البيت للصحابي الجليل سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه، هو مطلع قصيدة له في رثاء النبي صلى الله عليه وسلم، منها:

أجـــدك مـــا لعيـــنك لا تـــنام كـــأن جفـــونها فـــيها كـــلام
لأمـــر مـــصيبة عظمـــت وجلـــت ودمـــع العـــين أهـــوته انـــسجام
فجعلـــنا بالنبـــي وكـــان فيـــنا إمـــام كـــرامة نعـــم الإمـــام

(3) أبو عبيد البكري، فصل المقال في شرح كتاب الأمثال، تح: إحسان عباس، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1971، ص: 24.

(4) مثلث قطرب: نسبة للعلامة النحوي محمد بن المستنير، يعرف بقطرب، وهو أحد =

أمـــا الحـــــديث فـــالكلام والجـــرح فـــي المـــرء الكـــلام
والأرض الـــــصبخة الكـــــلام لليـــــــــبس والتـــــــــصب

=

تلامذة سيبويه، توفي سنة 206هـ ويسمى كتابه بالمثلث في اللغة، وقد شرحه جماعة من العلماء منهم: عبد الوهاب بن الحسين المهلبي، ومحمد بن جعفر القيرواني، وعمر بن محمد ابن عديس، كما شرحها الأخير في عشرة أجزاء.

رسالة في تفسير

قوله تعالى:

﴿فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم﴾

للشيخ الطيب عبد المجيد بن كيران الفاسي

الحمد لله قوله تعالى فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم، فيه مسائل.

[المسألة الأولى] (1)

إحداها أن الاستعاذة للقراءة مشروعة وقد أجمعوا على ذلك ومطلوبة أيضا، وعليه الأكثرون وحكى المنتسبين عن أصحابه وقراء المدينة أن عملهم على تركها رأسا قيل وهو يؤدي بحمل الأمر في على الإباحة.

قلت ووجهه رفع توهم من يتوهم أن القرآن لما كان أعظم الكلام وأفضل الذكر لم يحسن أن يقدم عليه ما هو دونه في الفضيلة فأباح تعالى تقديم الاستعاذة والتمهيد بها لقراءته لأنها وإن كانت مفضولة فلا محذور في جعلها وسيلة للمقصد الأفضل لله، مدلولها الخاص له نفع في القراءة وتقوية على ما هو المقصود منها.

فإن قيل ليس لها دعاء مباح إباحة مستوية الظرفين لورود الترغيب الكثير في مطلق الدعاء، قلت لم يجعل هؤلاء الإباحة راجعة إلى نفس الاستعاذة، بل إلى إيقاعها في هذا الموضع الخاص، كما قال الفقهاء يجوز صوم يوم الجمعة متفردا، والصوم في نفسه لا يكون مباحا لأنه[ورقة2] قربة، لكن إيقاعه في يوم الجمعة على الخصوص هو المباح، وأما نفعها في القراءة فلا يتوقف عليها لجواز حصوله بالاعتصام بالله باطنا عند الشروع وانحياش القلب إليه والتحضي به من كل ما يضير

---

(1) ما بين معكوفين من وضع المحقق.

ثم على مطلوبيتها، فالجمهور على أن الطلب ندب، لأن استعمال غالب الأدعية والأذكار مندوب غير واجب، فحمل الأمر بالاستعاذة على الغالب في جنسه وذهب عطاء بن أبي رباح وداود وأصحابه إلى وجوبها لكل قراءة ولو في الصلاة، بناء على أن الأمر للوجوب حقيقة وللتكرار مطلقا أو إن علق بمتكرر ولابن سيرين تجب القراءة مرة في العمر بناء على الأمر للوجوب مع المرة أو للماهية، ويقع الامتثال بالمرة مع أن لفظ الآية قضية شرطية متصلة موجبة مهملة من السور، والمهملة في قوة الجزئية، لأن ذلك القدر هو المحقن منها كما تقرر في المنطق، وبعضهم قال بموجبها في حق المصطفى ﷺ دون....نظرا لظاهر الخطاب وهو قول واسم لأن الأظهر أنّ الخطاب عام لكل قارئ لا لخصوص النبي ﷺ، ولو سلم أنه له خاصة.

فالقصد[ورقة3]منه التشريع للأمة لأنهم أحوج منه إلى الاستعاذة، ثم الأمر عند مالك مقيد بغير صلاة الفرض، فيكره التعوذ فيها ويجوز في النافلة، وروى أشهب أحبّة تركه في النفل أيضا، وروى ابن حبيب يتعوذ في أولى النافلة فقط واستحبّه هو في كل ركعة منها، وللشافعي القولان ورجحا وهو فيها قبل الفاتحة وعن مالك بعدها، ولعله ليجمع بين كونه بعد الفاتحة. وعن القراءة وقبلها باعتبار السورة.

وإذا تعوذ في الصلاة ففي جواز الجهر به وكراهته قولا روايتا ابن حبيب وأشهب عن مالك وللقراء في الجهر به مطلقا مذهبان، اختيار الشاطبي الجهر أي في القراءة الجهرية فقط، إظهارا لشعيرة القراءة كالجهر بالتلبية وتكبير العيد إظهارا لشعيرة النسكين وسنة العيد ولفظه، فإذا ما أردت الدهر تقرأ فاستعذ جهارا من الشيطان بالله مسجلا. على ما أتى في النحل يسرا وإن تزد بربك تنزيها فلست مجهلا، وفيه مقال في الأصول فروعه فلا تعد منها باسقا ومظللا وإخفاؤه فصل أباه وعاتبنا وكم من في المهدوي فيه أعملا وقوله فصل أي ما هو[ورقة4] قرآن وغيره وفاؤه إشارة لحمزة وألف أباه لنافع واختار أبو شامة أن القارئ إذا قرأ في الصلاة أو لنفسه خاليا فالإخفاء، وإذا قرأ على المقرئ أو على من يسمع فالجهر لئلا يفوت السامع شيء، إذ لو أخفاه ثم جهر به بالتلاوة لم يصغ السامع إلا بعد فوات جزء من

المتلو؛ فإذا جهر بالتعوذ كان منبها للسامع فيصغي لجميع المتلو.

[المسألة الثانية]

المسألة الثانية أم محلّ التعوذ قبل القراءة عند الأكثرين والآية من إقامة المسبب مقام السبب، لأنّ القراءة مبنية عن إرادتها فأقيمت مقام الإرادة التي هي سببها، فالتقدير فإذا قرأت قراءة القرآن فاستعذ كما أشار إليه الشاطبي في كلامه السابق ونظيره إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وكم من قرية أهلكتها فجاءها بأسنا وحديث إذا أتى أحدكم الجمعة فليغتسل أي إذا أردتم القيام وأردنا إهلاكها وإذا أراد أحدكم أن يأتي الجمعة وقيل محله بعد القراءة لظاهر الآية ونسب إلى حمزة وأبي حاتم وأبي هريرة وابن سيرين والنخعي وداود وعن قوله لملك، وأنكره في النشر وقال لا يصح عن وأجر من مولاه. وحكى الإمام الرازي قولا أنها تسبق وتتأخر.

[المسألة الثالثة]

الثالثة[ورقة5]أن التعوذ مشروع لقراءة القرآن لا لمجرد التلفظ بما هو قرآن، قال في القاموس القرآن التنزيل قرأه وبه كنصره ومنعه قرءا وقراءة وقرءانا فهو قارئ من قراءة وقراء وقارئين تلاه كاقتراء.

وظاهر أن القراءة والتلاوة بمعنى، وقال شيخنا العلامة خاتمة المحققين أبو عبد الله سيدي محمد بن عبد السلام العباسي رحمه الله في كتابه المحاذي ما نصه: "فالقراءة قال الراغب ضمر حرف التنزيل وكالته بعضها إلى بعض، ثم قال وأما التلاوة فهي كما قال الراغب أتباع القرآن تارة بالقراءة وتارة بالارتسام لما فيه من أمر ونهي وترغيب أو ترهيب أو ما يتوهم فيه ذلك، قال وهي أخصّ من القراءة".

قال فإذا كانت القراءة ما ذكر فمن قرأ المعوذتين مثلا أو غيرهما، والقرآن مستقرياً بهما أو مستحفظا غير قارئ ومن قرأ آية أو أكثر مستشهدا بها على حكم من أحكام الشريعة أو لبيان لغة أو إعراب أو غير ذلك كتوعظ أو ترقيق أو تزهيد أو ترغيب أو ترهيب أو تشويق كما يفعله الخطباء والوعاظ غير قارئ أيضا، ومن فتح على إمامه من مأموم أو غيره أو على قارئ تارة أو توقف فيفتح عليه ليردّه إلى

الصواب أو ليهديه غير قارئ[ورقة6] ومن استفتى شيخه في إلقاء جزء من القرآن أو في كيفية قراءة آية أو في بيان خلافها أو بيان إعرابها أو تصريف بها أو بيان اشتقاق أو استطعمه كما يفعله المتعلمون عند تلقي ما يكتبون في ألواحهم فليس واحد من المستفتي والمفتي ولا من المستطعم والمطعم بقارئ فالتلميذ السائل قارئ والمعلم المجيب غير قارئ كذلك.

والحاصل أن حقيقة القارئ هو المشتغل بتعلم جزء منه ليستخلصه أو من أدبه دراسة جزء منه ليستحصله أو درسه للتعبد أو درسه بين يدي شيخه ليتعلم كيفية أدائه أو إلقاء الشيخ عليه لذلك فهؤلاء لا بد لهم من التعوذ.

وأمّا غيرهم فالذي شاهدناه من أشياخنا وغيرهم ترك التعوذ وهو البيّن، فإن قطع واحد منهم قراءته بكلام أجنبي طلب بإعادتها إذا رجع للقراءة بلا كلام، وأن قطع بكلام غير أجنبي فلا يعيد. قال في النشر وقيل أنه يستعيذ فانظره. كلام شيخنا وانظر تفريعه كون ما عدّه غير قراءة على تعريف الراغب لها فإن تعريف الراغب لا يعطي كون ذكر القرآن لتلك الأغراض غير قراءة وحينئذ فالشيخ لم يعين ضابطا [ورقة 7] لما يطلب فيه التعوذ وما لا، وإنما ذكر مواضع لا يطلب فيها التعوذ ومواضع يطلب فيها.

فقد يقال ما الفرق مثلا بين ذكر الآية لاستفتاء الشيخ في كيفية قراءتها أو بيان اختلاف وجوه القراءة فيها وبين هرس جزء بين يدي الشيخ ليتعلم كيفية أدائه حتى طلب التعوذ في هذا دون ما قبله. فنقول الضابط في ذلك قصد التعبد وعدمه فمتى قصد التعبد لله تعالى بأجزاء لفظ القرآن على الله إن طلب بالتعوذ سواء قصد التعبد بمجرده أو مع استحصال وحفظ أو مع تعلم كيفية الأداء أو تعليمها، فإنّ حال مريد الحفظ أو تعلم الأداء أو تعليمه لا يخلو من قصد إلى التعبد باللفظ المنزل بخلاف حال المسترقي به أو المستحفظ أو المستشهد على حكم أو الواعظ به أو الفاتح على القارئ أو المتعرف لاختلاف القرّاء والمطعم أو المستطعم، فإنه ليس معه قصد إلى التعبد باللفظ المنزل لأنّ غرضهم الأصلي شيء آخر، فمقابلة الشيخ بين الدرس للتعبد وبين الدرس للاستحصال أو تعلم الأداء أو تعليمه، إنما هي

لتجرد التعبد تارة وعدم تجرده تارة، فأما الثلاثة المذكورة مصحوبة بقصد التعبد لكنه لم يتجرد فيها[ورقة 8]ولذا طلب التعوذ فيها كما طلب إذا تجرد قصد التعبد بالتلاوة.

وبهذا تعلم أن القراءة في قوله تعالى﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ ﴾ (1) بمعنى التلاوة لآن القراءة وإن كانت أعم من التلاوة لتعلقها بالمفرد كقرأ فلان اسمه ولا يقال تلاه، إلاّ أن المفرد لا يظهر فيه قصد التعبد فلا تطلب الاستعاذة به ولو نوى كونه قرءانا وأيضا المفرد يخرج بقوله القرآن لأن لفظ القرآن يطلق على الكل وعلى كل من الأبعاض التي لها نوع اختصاص به كما قال الكمال برأي ابن أبي شريف قال وهذا القيد للأجزاء عن نحو قل وافعل في الأبعاض التي لا تسمى قرءانا في العرف، لعدم الاختصاص.

هذا ولم يرو عن النبي ﷺ أنه كان يتعوذ للقراءة في الخطبة مع أنه كان يقرأ فيها ففي الصحيح عن ابنة الحارث بن النعمان ما حفظت " ق" إلاّ من في رسول الله ﷺ يخطب بها في كل جمعة، وفي حديث كان لا يدع قراءة﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلاً سَدِيدًا ﴾(2) قال الأبني قال النووي لم يختلف في مشروعية القراءة في الخطبة والصحيح عندنا وجوبها وأقلها آية".قلت وقد قيل في مهبنا باشتراط قراءة شيء من القرآن في الخطبة.

[المسألة الرابعة]

الرابعة أن المطلوب يتأدى بما يسمى استعاذة لغة والأنسب بلفظ الآية ﴿فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ(3) مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ والشائع أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. أخرج غير واحد عن ابن مسعود قلت قبل القراءة أعوذ[ورقة9] بالله السميع العليم

(1) النحل: 98.

(2) الأحزاب: 70.

(3) الحجر: 98.

من الشيطان الرجيم، فقال لي قل يا ابن أم عبد أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، هكذا أقرأني جبريل عن اللوح عن القلم، وذلك أن طلب الإعاذة الذي هو معنى الاستعاذة حاصل من عوذ مع زيادة الدلالة على مباشرة العبد العوذ بنفسه وعلى إلصاقه نفسه بجانب مولاه وفراره بنفسه إليه اسمعني أعوذ اعتصم وأستجير وأتحصن بالله وألتجئ إليه وهو خير لفظ قصد به إنشاء اللجاء[1] إلى الله تعالى، ولم يقل اللهم أعذني لنظير ما ذكرناه في اختيار أعوذ على استعيذ، ولم يقل عذت بلفظ الماضي لأنّ المضارع للحال فهو أنسب بما قصد من الإنشاء وأدخل في الامتثال، ولم يقل نعوذ بنون المشاركة أو العظمة لأنّ العائذ مشغول بشهود فاقته واحتياجه إلى الخلاص من يد عدّوه عن شهود غير من يخلصه ويحفظه فضلا عن شهود افتقارهم أيضا، وشهود فاقته واحتياجه إلى المخلص ضاف لإثباته لنفسه نوعا من العظمة، وقدم أعوذ على ما بعده لأن المقام مقام تحصن وتمنع فجل القصد متوجه إليه فكان أهم بالنظر إلى المقام، وإن كان اسم الله أهم في نفسه كما قيل في تقديم الفعل في﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ﴾[2].

وأما الاختصاص فليس مقصود في المقام، إذ ليس هنا من يدعي أنه ينبغي الاستعاذة بغير الله، حتى يرد عليه بالحصر، وإن كانت العرب في الجاهلية ربما استعاذوا برؤساء الجنّ كما قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلۡإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلۡجِنِّ فَزَادُوهُمۡ [3] رَهَقًا﴾ ولو سلم قصد الاختصاص فهو حاصل[ورقة10]بتعليق العوذ بالاسم الخاص أعني اسم الجلالة الدال على الذات العلية، دلالة جامعة لمعنى الأسماء الحسنى كلها ما علم منها وما لم يعلم، ولذلك خصّ هذا الاسم بالذكر دون غيره، فدلّ ذاك على أن المعوذ به هو من له ما لا يتناهى من صفات الكمال، وليس إلا الله وحده وهذا معنى الحصر.

---

(1) يقصد بها الالتجاء واللجوء إلى الله تعالى.

(2) العلق: 01.

(3) الجن: 06.

فالحاصل أنه لم يقل أعوذ بالسميع أو العليم أو الرحمن أو الرحيم مثلا بل جيء بالاسم الجامع حتى كأنه قيل أعوذ بالسميع العليم القادر القوي المعين القهار الجبار النافع الضار الرحمن الرحيم إلى غيره، ذلك من صفات الجلال والجمال، وكلا القسمين مناسب للمقام لأنّ قهر العدو وصرفه عن العبد من آثار الجلال بالنسبة إلى المدفوع، ومن آثار الجمال بالنسبة إلى المدفوع عنه لأنه إكرام له وإحسان إليه، والباء المتعدية والإلصاق لأن العائذ يلصق نفسه بالله ويفر إليه ليحفظه من عدوه الذي بيده ناصيته، وقدم اسم الجلالة على المستعاذ منه مناسبة لقصد المستعيذ.

إذ قصد أن يفر إلى مولاه وينحا شر النعي بآية ويتعلق بجانبه ليرفع عنه شر عدوه، فصار الفرار عليه سيئا ودفع كيد العدو مسيئا عنه والسبب سابق على المسبب فجاء اللفظ على طبق هذا الترتيب ومن ابتدائية لأنّ التحفظ ممتد من المستعاذ به إلى جانب العائذ، والشيطان كل متمرد عات من الجن والإنس والدواب من شطن أي بعد لأنه بعيد عن الخير والصلاح أو من شاط بمعنى هلك أو عجل أو[ورقة11] احترف أو فصل والشيطان هالك عجل إلى الشر والمخالفة محترق في الدنيا بالشهب وفي الآخرة بنار جهنم ذو باطل فعلى الأول النون أصلية فينصرف وإن سمي به وعلى الثاني زائدة فلا ينصرف إن سمي به، وأمّا قبل التسمية فينصرف خلافا للجوهر، لأنه وإن كان صفة ذات زيادتين فأنشأه بالتاء شيطانة.

وقد قال في الخلاصة وزائدا فعلان في وصف سلم من أن يرى بتاء تأنيث ختم واستدل لإصالة النون بقولهم تشيطن دون تشيط وأجيب بأن تشيطن مشتق من الشيطان في فعله والاستغراقية فالاستعاذة من جميع شياطين الإنس والجن أو عهدية على أنّ المراد خصوص إبليس والرجيم فعيل بمعنى فاعل أي راجم لأنه يرجم الناس بحجارة وسوسته واحتقاره لهم، ألا ترى إلى قوله ﴿ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ ﴾[1]

(1) الأعراف: 12.

﴿ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴾[1] ﴿ قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُۥ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴾[2]، أو بمعنى مفعول أي رجوم لأنه يرجم بالشهب أو باللعنة من الله وعلى ألسنة الخلق إلى يوم الدين، وذكر الشيطان الرجيم لإفادة علة التعوذ إني أعوذ منه لشيطنته ورجمه فهو من تعليق الحكم على الوصف المناسب، ليفيد علية الوصف للحكم.

[المسألة الخامسة]

الخامسة إن كان المراد إبليس بخصوصه فخصّ بالاستعاذة منه لأمور منها[3] أنّ معصيته شر معصية في الوجود لأنه عصى الأمر الوارد عليه مباشرة وأصرّ على المخالفة وافتح بنفسه وخطأ الحكمة الإلهية، وأما آدم فعصى متأولا [ورقة12] ولم يصر بل أناب واستغفر وذريته إنما يتوجه إليهم الأمر بالوسائط وشأن المؤمن أن يبعد نفسه من المعاند المصرّ على الباطل ومما يدل على إصراره ما ورد أن الله قال له على لسان نبي إن كنت تريد أن يتوب الله عليك فاذهب إلى قبر آدم فاسجد له فقال لم أسجد له حيا فكيف اسجد له ميتا، ومنها أنه الصق عدو بالإنسان لجثومه على قلبه وجريه منه مجرى الدم فلا عدو أعسر للإنسان للخلاص منه وينظر إلى هذا المعنى قول الشاعر:

دو فن مجن الدنيا على المرء إن يرى عدو له ما من صداقته بد[4]

(1) الإسراء: 61.

(2) الحجر: 33.

(3) إنه أول من عصى فهو قدوة العصاة ومعاصيهم في صحيفته وهو الحامل لهم عليها فالاستعاذة من كل عاص ومعصيته، وتتضمن بغضهم كما قيل:

أحب الصالحين ولست منهم لعلي إن أنال بهم شجاعة
وأبغض من بضاعته المعاصي وإن كنا سواء في البضاعة

(4) كذا في الأصل والصواب أن البيت ينسب لأبي الطيب المتنبي:

ومن نكد الدنيا على الحر أن يرى عدواً له ما من صداقته بد

ومنها أنه أضر عدو لتسلطه على أشرف عضو عني القلب فلا أحق منه بالاستعاذة منه، ومنها أنه ظلوم تكثر ملابسة الإنسان له فلو لم يستعذ منه كان ركونا إليه، وقد قال تعالى﴿ وَلَا تَرْكَنُوٓاْ ﴾[1] الآية، ومنها أنه كافر أقرب شيء إلى الإنسان وقد قال تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ ﴾[2] وقتاله بالاستعاذة منه وبسائر الأذكار، ومنها أنه معرض عن ذكر الله ولم يرد إلا الحياة الدنيا لقوله: ﴿ قَالَ أَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾[3] وقد قال تعالى:﴿ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن[ورقة13] ذِكْرِنَا ﴾[4] ولم يرد إلا الحياة الدنيا والاستعاذة منه إعراض وزيادة، ومنها أنه مستكبر والاستكبار يثير الاستعاذة، قال تعالى: ﴿ إِن فِى صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِ ۚ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ﴾[5]، ومنها أنه حاسد وهو أول من حسد ومن حسده لآدم وذريته أن أبى السجود له وأخرجه من الجنة، وقد قال تعالى:﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴾ إلى قوله: ﴿ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴾[6]، ومنها أنه متخلق بكل ذميمة من الكفر بما دونه، فمن لم يستعذ منه كان مصاحبا له فيسرق منه تلك الرذائل أو بعضها.

إذا كنت في قوم فصاحب خيارهم ... ولا تصحب الأردى فتردى مع الرديء
عن المرء لا تسأل وسل عن خليله ... فكل قرين بالمقارن يفتح[7]

---

(1) هو: 113.

(2) التوبة: 123.

(3) الأعراف: 14.

(4) النجم: 29.

(5) غافر: 56.

(6) الفلق: 05.

(7) البيتان للحكيم عدي بن زيد، ينظر: أحمد بن محمد المقري التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط1388هـ، ج5، ص: 191.

وبهذا قال الشيخ أبو الحسن:

وباعد بيننا وبين العناد والإصرار والتنبيه بإبليس رأس الغواة

[المسألة السادسة]

السادسة أن الاستعاذة شعار القراءة قدمت عليها لأمور:

أحدها تطهير اللسان والقلب من ملابسة الشيطان فيصلحا بمس حروف القرآن ومعانيه، إذ ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ﴾[1].

ثانيها أنها جعلت عنوان القراءة ومقدمة لها تنبيه [ورقة14]السامعين على أنّ ما يعقبها قرآن فيتهيئوا لما يجب عليهم من استماعه، ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ﴾[2] الآية، وهذا الوجه يقتضي إجهارها كما مرّ.

ثالثها أن يحترز بها عن الوسوسة المانعة من التدبر وعن الرياء والسمعة والتصنع التي تحبط الأعمال والطاعات التي القرآن أصلها وأساسها وهي متشبعة منه وعن التشبه بالشيطان في عصيانه الأمر المتوحد إليه بخطاب الله والقرآن خطاب إليه يأمر التالي وينهاه، وعن ما يلقيه الشيطان في متشابهات القرآن وغيرها من التأويلات الزائفة والتحريف والقول فيه بغير علم وعن التخليط والخطأ والغلط في التلاوة لأنه وإن حفظ القرآن من تبديله وتغييره، فله تسلط على قارئه بتغليطه وإنسائه وتشكيكه ونحو ذلك.

رابعها أنّ القرآن بستان العارفين فأينما حلّوا منه حلّوا بنزهة كما قاله محمد بن واسع حسبما نقله في الحلية والنزهة في البستان، لا تكمل إلاّ بغية العدّو المنقص.

خامسها أنّ القارئ محتاج إلى الفيض الإلهي لاستفادة علوم القرآن وتأثر

(1) الواقعة: 97.

(2) الأعراف: 204.

القلب بها حتى تكون القراءة [ورقة15]نافعة لصاحبها مترتبا عليها مقصودها، وذلك لا ينال إلا برجوع العبد إلى كرم مولاه وتبريد من حوله وقوته وصرف مولاه العوائق والموانع عنه والاستعاذة متضمنة لذلك وعلى قدر تحقق العبد من نفسه بالعجز والضعف والفاقة من به يرد عليه فتحه ومدده، قال في الحكم تحقق بأوصافك يمدك بأوصافه، تحقق بعجزك يمدك بحوله وقوته، إنما الصدقات للفقراء، وقال ورود الفاقات أعياد المريدين، ربما وجد العارف في الفاقات ما لا يجده في الذكر والصلاة.

[المسألة السابعة]

السابعة من خواص الاستعاذة أنها دلت على تهويل أمر الشيطان وتوهينه وعلى تفخيم أمرها، أما التهويل فقال مالك بن دينار أن عدوا يراك ولا تراه لشديد المئونة إلاّ على من عصم الله وقد أقسم الشيطان ليغوينّ بني آدم أجمعين وليقعدنّ لهم الصراط المستقيم، وقال تعالى له ﴿ وَٱسۡتَفۡزِزۡ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتَ مِنۡهُم ﴾(1) الآية. وأما التوهين فمن ثلاثة أوجه، من حيث أنه مقهور في قبضة خالقه كسائر الخلق لا سلطان له إلاّ على من مكنه الله منه﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٌ [ورقة16]إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ ﴾(2)، ﴿ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنٍ ﴾الآية(3).

فكيده وإن قوي يضعف بالرجوع إلى مالكه كما يرجع في دفع شرّ الكلب العقور إلى صاحبه، وفي الحكم" إذا علمت أن الشيطان لا يغفل عنك فلا تغفل أنت عمن ناصيتك بيده، ومن حيث أنّ الله جعله منديلا تمسح فيه أوضار هذه الدار أدبا مع الله لئلا يصرّح بنسبتها إليه تعالى، وإبقاء على العبد حتى لا يستعظم المعصية فيقطعه ذلك عن التوبة، وقد قال موسى عليه السلام:﴿ قَالَ هَٰذَا مِنۡ عَمَلِ

(1) الإسراء: 64.

(2) الحجر: 42.

(3) إبراهيم: 22.

ٱلشَّيْطَـٰنِ ﴾[1]، وفتاه ﴿ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَـٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ ﴾[2]. ويوسف ﴿ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَـٰنُ ﴾[3] وهذا ممّا اعتاده العام والخاص، ومن حيث أن عداوته تحمل على الاستعاذة بالله منه فيتولى الله عبده ويقربه ويطرده عنه، فصار من وهن أمره يحوش عدوه إلى رضى ربه رغم أنفه، قال في الحكم" جعله لك عدوا ليحوشك به إليه فحاله في حصول عكس مطلوبه له، قيل:

يا واشيا حسنت فينا إساءته ... نجي حذاءك إنساني من الغرم[4]

وقيل:

أحسنت لي من حيث لا تدري وإن ... كنت المسيء فأنت أعدل جائر

وأمّا تفخيم أمرها فلأنها مع قلة حروفها سلاحا يقاتل به المؤمن أعدى الأعادي وذريته وخيله ورجله على كثرة عددهم وعددهم، فينصره الله بها عليهم، ﴿ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[5]، ﴿ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَـٰنِ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ﴾[6].

[المسألة الثامنة]

الثامنة أنها جهاد للعدو الباطن كما أنّ قتال الكفار بالسيف والسلام جهاد ظاهر وهما عدوان ظاهر يجاهد ظاهرا كما قال تعالى:﴿ وَقَـٰتِلُوا۟... ٱلَّذِينَ

---

(1) القصص: 15.

(2) الكهف: 63.

(3) يوسف: 100.

(4) البيت منسوب لمسلم بن الوليد، كذا في الأصل والصواب:

يا واشياً حسنت فينا إساءته. . . نجى حذارك إنساني من الغرق

انظر: النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2004، ج7، ص: 97.

(5) المجادلة: 22.

(6) المجادلة: 19.

يُقَـتِلُونَكُمۡ...﴾[1] الآية. وباطن يجاهد باطنا كما قال تعالى:﴿ إِنَّ ٱلشَّيۡطَـٰنَ لَكُمۡ عَدُو ﴾ الآية[2]. ومرد الله تعالى في الثاني أقوى لأنك إن حاربت العدو الظاهر أوشك أن تمد بالملائكة على ما يليق بك، وأما إن استعذت من الباطن لا يبقى له عليك سلطان ودخلت في زمرة المخلصين الذين استثناهم الشيطان من أغوائه رغما وأيضا محاربة العدو الباطن أولى، لأنّ ضرره في الدين وضرر الظاهر إن وجد ففي الدنيا، وأيضا إن غلبنا الظاهر بالأدبار كنا مأجورين، وإن غلبنا الباطن ولا يكون إلاّ مع إدبار كنا مأزورين، وأيضا من قتله الظاهر كان شهيدا ومن قتله الباطن كان طريدا. تعلم شفاء النفس قهر عدوها، فبالغ بلطف في التحيل والمكر، وذلك بالمواظبة على الاستعاذة بالله.

[المسألة التاسعة]

التاسعة أن الاستعاذة تطرد إبليس عن القلب وقلب المؤمن أشرف البقاع للحديث القدسي لم تسعني أرضي ولا سمائي، ووسعني قلب عبدي المؤمن فهو بستان الإيمان والمعرفة، كما أنّ الجنة بستان العارفين. وقد ذكره الله تعالى من بستان العارفين فطرتك له عن بستان المعرفة أحقّ وأولى، وأيضا طرده الله بعصيانه له وهو لا يضره، فطردك له بالاستعاذة لكونه يضرك أولى وأيضا خرج بسببه من الجنة من أقسم أنه ناصح له فكيف صنعه مع من أقسم ليضلنّه، فاستعذ بالله منه، وأيضا لما كان يراك ﴿ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنۡ حَيۡثُ ﴾[3] لا تراه كان وجه الخلاص منهم الاستعاذة منهم بمن يراهم ولا يرونه وهو الله.

[المسألة العاشرة]

العاشرة[ورقة 18] أنّ الاستعاذة من قبيل الدعاء والذكر بما ورد في مطلقها

(1) البقرة: 199.

(2) فاطر: 06.

(3) الأعراف: 27.

من الفضائل يجري فيها وورد في خصوصيتها من الفضائل ما هو مشهور في الكتب فلا نطيل به كحديث البخاري عن سليمان ابن طرد استبّ رجلا عند النبي ﷺ وأحدهما يسبّ صاحبه مغضبا قد إحمرّ وجهه فقال ﷺ" إني لأعلم كلمة لو قالها هذا ذهب عنه ما يجد أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، فقالوا ألا تسمع ما يقول النبي ﷺ؟ قال إني لست بمجنون(1)، واستعاذ يوم عليه السلام بقوله:" رب إني أعوذ بك أن أسألك ما ليس لي به علم"(2). فخلع الله عليه خلعتين السلام والبركات، كما في بقية الآية وقال يوسف:﴿ مَعَاذَ ٱللَّهِ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَاىَ...﴾(3) فصرف الله عنه السوء والفحشاء.

وقال أيضا: ﴿مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأۡخُذَ إِلَّا مَن وَجَدۡنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ ﴾(4)، ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيۡهِ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدًا ﴾(5)، واستعاذ موسى عليه السلام في قوله:﴿ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴾(6) فبرأه الله وأحيا له القتيل، واستعاذت امرأة عمران لمريم وقريتها﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا ﴾(7).

وقالت مريم:﴿ أَعُوذُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴾(8)، فبرأها الله على لسان

(1) محمد عبد السلام خضر الشقيري، السنن والمبتدعات المتعلقة بالأذكار والصلوات، تح: محمد خليل هراس، دار الفكر، بيروت، ص: 306.
(2) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ رَبِّ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِكَ أَنۡ أَسۡـَٔلَكَ مَا لَيۡسَ لِى بِهِۦ عِلۡمٌ ﴾. هود: 47.
(3) يوسف: 23.
(4) يوسف: 79.
(5) يوسف: 100.
(6) البقرة: 67.
(7) آل عمران: 37.
(8) مريم: 18.

ابنها وجعله سريا...عظيمة وقال تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَـٰطِينِ ﴾[1] الآيـــــة.﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَـٰنِ ﴾[2] الآيتـــــين[3]، و﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴾ السورتين[4].

والله تعالى أعلم انتهى ونجز

والحمد لله رب العالمين

(1) المؤمنون: 97.

(2) فصلت: 36.

(3) يقصد بهما آية الأعراف رقم: 200. وآية فصلت رقم: 36.

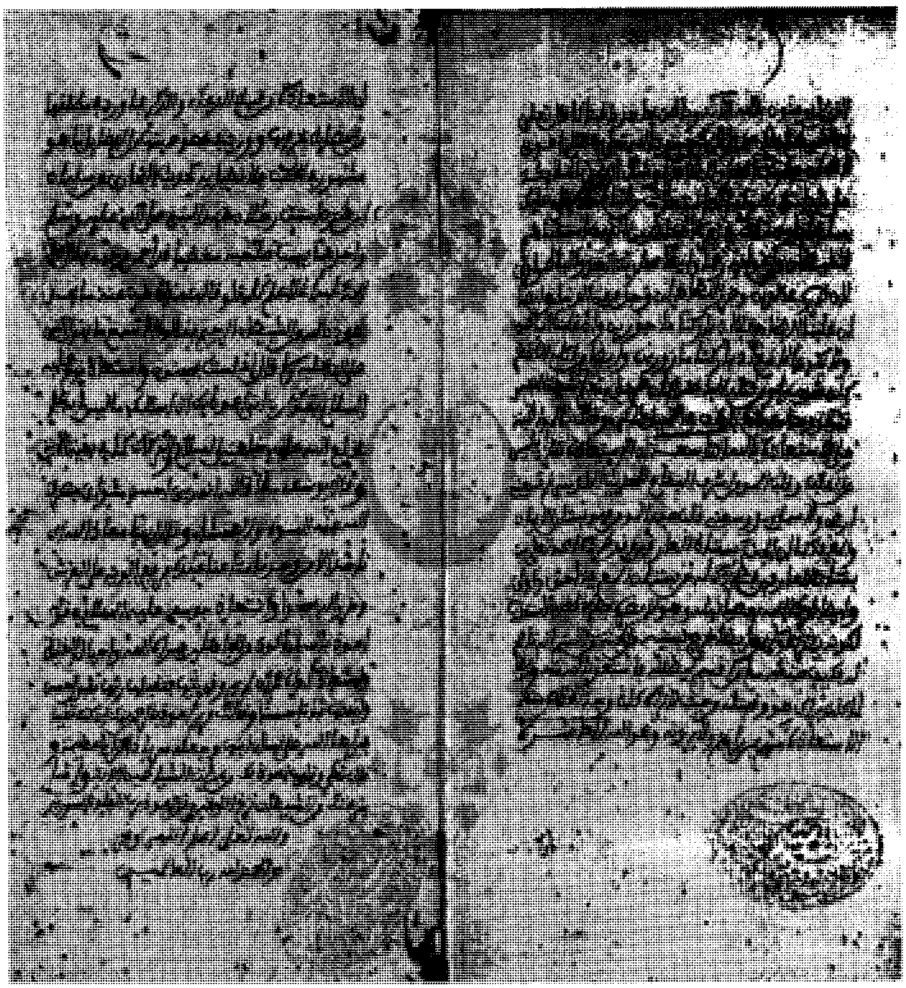
(4) يقصد بهما آية سورة الفلق وآية سورة الناس.

صور رسالة في قوله تعالى: فإذا قرأت فاستعذ بالله

للشيخ الطيب عبد المجيد بن كيران



الصفحة الأولى من نسخة مكتبة الأزهر الشريف رقم:**1236**.



الصفحة الأخيرة من نسخة مكتبة الأزهر الشريف رقم:1236.

من رسالة في شرح الصلاة المشيشية
للعلامة الطيب عبد المجيد ابن كيران (ت 1227 هـ)

(اللهُمَّ صَلِّ) كما صليت أنت وملائكتك وجنك ومن يأتي من إنسك وكل من جاءك طائعا من جميع مخلوقاتك - من نعلمهم ومن لا نعلمهم - ومن الأنبياء والمرسلين وأوليائك وشهدائك والصديقين والشهداء والصالحين مدحا وثناء وترحما وتحننا وسلاما.

(عَلَى مَنْ مِنْ) ذاته وأسمائه وكمالات صفاته وأخلاقه القرآنية والقدسية وجوامع كلمه النبوية وطبيعته الجوهرية وروحه بأطوارها الدنيوية والبرزخية والأخروية ونوريته[1] وسراجيته وهدايته ودعوته وروضته وشفاعته ومقامه المحمود وأسراره ووحي الله له ما عرفنا منه وما حجب عن المخلوقات﴿ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴾[2]، ﴿ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴾[3].

(هُ) الحقائق المحمدية فهو مرآة المعرفة للعارفين ومجلى أسرار الذات والصفات للمبصرين. فهو أصل الموجودات وعنصرها وأساسها وسبب الوجود وعلته والسابق على روح الأنبياء روحا وجسدا بأخذ العهد. وهو الذي كان سببا لتوبة آدم والمتمم لدائرة النبوة والمطلع على مساوئ الأمم قبله الذي روحه تمد أرواح العلماء والعارفين والمرسلين والنبيين وجميع عباد الله الصالحين من الحكمة والعلم والمعاني الربانية والأسرار الملكوتية الذي هو السبب في أعمال البر كلها خفيها (الأسرار) كالزهد والتوكل والصبر والرضا وجليها كالصلاة والحج والصدقة

(1) كذا في الأصل والصواب نورانيته.

(2) النجم: 10.

(3) الأحزاب: 46.

والزكاة وهو المعبر به (بالأنوار) الذي هو الواسطة فيما يشهده أهل عالمي الملكوت (حضرة الأرواح التي تشهد الصفات السنية) والجبروت (حضرة الأسرار التي تشهد الذات المقدسة العلية الممد لأهل السموات والأرض فمنه إمدادات أهل الباطن وأهل الظاهر الذي هو السبب في إدراك الأرواح "ألست بربكم". الذي هو الواسطة في علم الحقيقة. الذي هو الواسطة في نيل النبوة والرسالة والولاية والقرب. الذي هو الواسطة في الاستدلال بالله على الأشياء من وظيفة الخاصة والاستدلال بها عليه الذي هو وظيفة العامة. الذي هو الممد المشايخ والمريدين. المظهر لما أودعه الله في الكون من أسرار. الذي هو السبب في فتح أبواب البصائر وأبواب الحواس. الذي هو السبب في حصول أسرار العلوم ولطائفها ونكتها للمتحققين.

(انْشَقَّتِ)

مرآة للعارفين ومجلى لأهل البصائر واليقين ظهرت فيه ما قدره الله من أسرار الذات وأنوار الصفات أن تصل لأحباب الله من الملائكة والأنبياء والمرسلين والأولياء والأخلاء كل على حسب مقامه بالأقوال والأفعال والفكر وإسراءآت مدارج السلوك.

وكلهم من رسول الله ملتمس غرفا من البحر أو رشفا من الديم

(الأسْرَارُ)

من شهود كمال الذات الإلهية من غير حدقة عين ولا كيف ولا مكان ولا فوقية مكانية بل رفعة مطلقة، فهو مغرب أسرار الذات ومشرق أنوار الصفحات ومظهر أنوار التجليات بأنوار السبحات من سنا السرادقات بأرواح التروحنات مدد المدد وجود الجود عين الرحمة الربانية.

(وَانْفَلَقَتِ الأنْوَارُ)

عما يبدو لغيرهم من معاني الصفات لظهورها بالنسبة لأسرار الذات - ومثاله صلاة سيدي علي وفا "اللهم صل على النور الأول..." انظرها في كتاب

"سعادة الدارين" للنبهاني.

(وَفِيهِ ارْتَقَتِ الْحَقَائِقُ)

ظهرت علوم المعرفة بالله وكمل بثها وكثر الانتفاع.

(وَتَنَزَّلَتْ عُلُومُ آدَمَ)

معرفة أسماء المسميات "المشار بها في قوله ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ﴾(1) بنور محمد.

(فَأَعْجَزَ الْخَلائِقَ)

فأعجز الملائكة وكذا سيدنا محمد لما ارتقت فيه الحقائق وتنزلت علوم آدم فقد أتى بما لم يأت أحد بمثله من جمعه علوم الأولين والآخرين وإخباره بوقائع القرون السالفة وقصص الأمم الماضية والمغيبات مع أميته وعدم قراءته وكتابته. فقد أوتي صلى الله عليه وآله وسلم علم كل شيء إلا المسائل الخمس التي في الآية(2) وقيل أوتيها وأمر بكتمانها - قاله السيوطي. أما عن رؤيته لله تعالى فقد قال النووي الراجح عند الأكثر أنه رآه لأن ابن عباس أثبته وليس مما يدرك بالاجتهاد فدل على أنه سمعه.

(وَلَهُ تَضَاءَلَتِ الْفُهُومُ)

﴿ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾(3).

تصاغرت الفهوم عن إدراك حقيقته المحمدية والأحمدية. فقد سمي (أحمد) وعرفه به عيسى وموسى، ثم لما حمدته أمته سمي (محمد)، وفي الآخرة سيكون (أحمد) (الحامدين) في المقام المحمود بمحامد ستفاض عليه ساعتئذ.

---

(1) البقرة: 31.

(2) يقصد بها تلك الوصايا الموجودة بسورة لقمان، الآية: 34.

(3) النساء: 113.

ولم تصل العقول إلى معرفة حقيقته الأحمدية لأن حمده وثناءه الأصلي على حسب علمه ومعرفته ولم يصل إليهما أحد من الخلق ولن يصل. وقال سيدي أبو يزيد البسطامي أن للنبي ﷺ ألف بحر لو اقتربت لأي منها لاحترقت. وجبريل وقف وصعد ليلة الإسراء فافهم. فضلا عن معرفته كنه جلاله وعبوديته لله رب العالمين وزهده وتواضعه وشفقته ورحمته وجوده الحسي وجمال صورته وحسنه وكمال عقله وتمام إدراكه وعلومه وحلمه وخوفه ورجائه وخصائصه وهدايته.

(فَلَمْ يُدْرِكْهُ مِنَّا)

أي من الجن والإنس والملائكة.

(سَابِقٌ)

في الوجود الجسماني قبل ولادته.

(وَلا لاحِقٌ)

في الوجود الجسماني بعد ولادته.

(فَرِيَاضُ الْمَلَكُوتِ)

عالم الملك: وهو حضرة الأجسام وهى مظهر الأفعال المشار إلى بعضها بقوله:﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ ﴾[1]. عالم الملكوت: عالم الأرواح وهي مظهر الصفات. عالم الجبروت: حضرة الأسرار وهي مظهر أسرار الذات.

(بِزَهْرِ جَمَالِهِ)

فشبهه ﷺ بعروس تلك الرياض وأثبت له الزهر بالاستعارة. وفى الحديث فغشيها من أمر الله ما غشي فتغيرت وصارت زمردا وياقوتا فما أحد يستطيع أن

(1) آل عمران: 26.

ينعتها من شدة حسنها. [1]

(مُونِقَةٌ. وَحِيَاضُ الْجَبَرُوتِ بِفَيْضِ أَنْوَارِهِ)

(مُتَدَفِّقَةٌ)

مراتب الفناء ثلاث:

- فناء الأفعال: برؤية مع شهادة أن لا معز ولا مذل ولا مانع ولا معطى ولا فاعل إلا الله.
- فناء الصفات: برؤية مع شهادة أن لا عالم ولا قادر ولا مريد ولا حي إلا الله.
- فناء الذات: برؤية مع شهادة أن لا موجود إلا الله تعالى.

(وَلا شَيْءَ إِلاَّ وَهُوَ بِهِ مَنُوطٌ)

فنعمتان ما خلا موجود عنهما نعمة الإيجاد ونعمة الإمداد والنبي هو الواسطة فيهما. قال سيدي أبو العباس المرسي جميع الأنبياء خلقوا من الرحمة ونبينا صلى الله عليه وآله وسلم عين الرحمة. قال تعالى "وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين"[2].

(إِذْ لَوْلا الْوَاسِطَةُ)

(لَذَهَبَ كَمَا قِيلَ) أي كما هو مشهور عند العقلاء لا تضعيفا للقول.

(الْمَوْسُوطُ)

فكل خير ديني أو دنيوي إنما وصل إلينا على يديه فلم لم تكن (واسطته) لم يصل (الموسوط) من خيري الدنيا والآخرة - كالشفاعة العظمى - إلينا. والناس متفاوتون في محبته بحسب استحضار أو الغفلة عما وصل إليهم من جهته ﷺ من النفع الشامل لخير الدارين والصحابة

(1) (رواه مسلم، ص: 157) و(البيهقي في الدلائل، ص: 372).
(2) الأنبياء: 107.

لديهم الحظ الوافر من محبته.

ومن علامات محبته: كثرة ذكره وتعظيمه عند ذكره وكثرة التشوق إلى لقائه وحب القرآن ومحبة سنته وقراءة حديثه وسماع الصفات النبوية والشمائل الزكية المحمدية فهي من أقوى أسباب إثارة الحب وتهييج الشوق والمواظبة على العبادة والمذهب العملي من ترتيل وقيام ليل وصيام الاثنين والخميس والذكر الكثير والصلاة والسلام عليه بأفضل الصلوات على سيد السادات.

فلا يؤمن أحدكم حتى يكون ﷺ أحب إليه من والده وولده ومن أهله وماله ومن الناس أجمعين ومن نفسه التي بين جنبيه. والخلة نهاية المحبة. والناس في شهود واسطته على مقامات.

أهل البعد: من الخوارج والنواصب والوهابية لا يرون واسطته بل يستخفون به ويسمنوه طارشا مع تعظيم ملوكهم وأهل الكتاب من الإنجليز والأمريكان والحفاوة بهم ويمنعون الناس من احترامه ﷺ ويفضلون قبائلهم على أهل بيته رضوان الله عليهم - فهؤلاء أهل البعد ممن لعنهم الله تعالى وقلقل أنيابهم وأخرج قرون الشيطان من نجدهم وأخرجهم من الدين كما يخرج السهم من الرمية.

أهل السنة: على أربع مقامات على ما حكاه الشيخ عبد الله عبد الرزاق العثماني (توفي سنة 945 هـ تقريبا).

الأول: موقف أهل شهود شريعته ﷺ وهو لعامة المؤمنين.

الثاني: موقف أهل شهود ذاته ﷺ وهم الأولياء والصالحين.

الثالث: موقف أهل شهود روحه ﷺ وهو للشهداء والصديقين.

الرابع: موقف أهل شهود سره ﷺ وهو للأنبياء والمرسلين (قلت: ورؤساء الملائكة المقربين).

وأهل هذه المواقف كلها معترفون بقصورهم عن نيل ما خص به صلى الله عليه وآله وسلم منها.

(صَلاةً)

أي مخصوصة تناسب عظيم مقداره عند الله تعالى.

(تَلِيقُ بِكَ)

(مِنْكَ)

(إِلَيْهِ)

(كَمَا هُوَ أَهْلُهُ)

(اللهُمَّ إِنَّهُ سِرُّكَ الْجَامِعُ)

لما افترق في غيره من الظاهر إذ كلهم مستمدون منه وآخذون عنه.

(الدَّالُّ)

أي بأقواله وأفعاله وأحواله في عالم الأرواح والأجساد وبنوابه وخلفائه وورثته من الدعاة إلى الله على بصيرة على سبيله الشريف صلى الله عليه وآله وسلم.

(عَلَيْكَ)

(وَحِجَابُكَ)

الذي حجبت به خلقك عن الفقد وعدم الوجود باعتبار وساطته في نعمة الإيجاد وعن الاضمحلال والتلاشي باعتبار وساطته في نعمة الإمداد.

(الأعْظَمُ)

أي هو أعظم الحجب الخلقية سواء من الملائكة أو غيرهم.

(الْقَائِمُ)

أتم قيام بتكاليف الرسالة وتوفية حقوقها.

(لَكَ)

أي لأجلك يا الله تعظيما وإجلالا.

(بَيْنَ يَدَيْكَ)

كناية عن شدة القرب الذي اختص به صلى الله عليه وآله وسلم عند الله، فهو كما قال صاحب دلائل الخيرات بحزب آخر يوم الأربعاء:

" فَهُوَ سَيِّدُ الأَوَّلِينَ وَالآخِرينَ، وأَفْضَلُ الأَوَّلِينَ وَالآخِرين، عَلَيْهِ أَفْضَلُ صَلاةِ المُصَلِّينَ، وَأَزْكَى سَلاَمِ المسَلِّمِينَ، وَأَطْيَبُ ذِكْرِ الذَّاكِرينَ، وَأَفْضَلُ صَلَواتِ اللهِ وَأَحْسَنُ صَلَواتِ اللهِ وَأَجَلُّ صَلَواتِ اللهِ وَأَجْمَلُ صَلَواتِ اللهِ وَأَكْمَلُ صَلَواتِ اللهِ. وَأَسْبَغُ صَلَواتِ اللهِ، وَأَتَمُّ صَلَواتِ اللهِ، وَأَظْهَرُ صَلَواتِ اللهِ، وَأَعْظَمُ صَلَواتِ اللهِ، وَأَذْكى صَلَواتِ اللهِ، وَأَطْيَبُ صَلَواتِ اللهِ، وَأَبْرَكُ صَلَواتِ اللهِ، وَأَزْكى صَلَواتِ اللهِ، وَأَنْمى صَلَواتِ اللهِ، وَأَوْفَى صَلَواتِ اللهِ، وَأَسْنَا صَلَواتِ اللهِ، وَأَعْلَى صَلَواتِ اللهِ، وَأَكْثَرُ صَلَواتِ اللهِ، وَأَجْمَعُ صَلَواتِ اللهِ، وَأَعَمُّ صَلَواتِ اللهِ، وَأَدْوَمُ صَلَواتِ اللهِ، وَأَبْقَى صَلَواتِ اللهِ، وَأَعَزُّ صَلَواتِ اللهِ، وَأَرْفَعُ صَلَواتِ اللهِ، وَأَعْظَمُ صَلَواتِ الله على أَفْضَلِ خَلْقِ الله، وَأَحْسَنِ خَلْقِ الله، وَأَجَلِّ خَلْقِ الله، وَأَكْرَمِ خَلْقِ الله وَأَجْمَلِ خَلْقِ الله وَأَكْمَلِ خَلْقِ الله وَأَتَمِّ خَلْقِ الله وَأَعْظَمِ خَلْقِ الله عِنْدَ الله رَسُولِ الله، وَنَبِيِّ الله وَحَبِيبِ الله وَصَفِيِّ الله وَنَجِيِّ الله، وَخَلِيلِ الله، وَوَلِيِّ الله وَأَمِينِ الله، وَخِيرَةِ الله مِنْ خَلْقِ الله، وَنُخْبَةِ الله مِنْ بَرِيَّةِ الله، وَصَفْوَةِ الله مِنْ أَنْبِيَاءِ الله، وَعُرْوَةِ الله، وَعِصْمَةِ الله، وَنِعْمَةِ الله، وَمِفْتَاحِ رَحْمَةِ الله، الْمُخْتَارِ مِنْ رُسُلِ الله، الْمُنْتَخَبِ مِنْ خَلْقِ الله، الْفائِزِ بالمَطْلَبِ في المَرْهَبِ وَالمَرْغَبِ الْمُخْلَص فِيمَا وُهِبَ، أَكْرَمِ مَبْعُوثٍ، أَصْدَقِ قائِلٍ، أَنْجَحِ شَافِعٍ، أَفْضَلِ مُشَفَّعٍ، الأَمِينِ فِيماَ اسْتُودِعَ، الصَّادِقِ فِيمَا بَلَّغَ، الصَّادِعِ بأَمْرِ رَبِّهِ، المُضْطَلِعِ بِمَا حُمِّلَ، أَقْرَبِ رُسُلِ الله إِلَى الله وَسِيلَةً، وَأَعْظَمِهِمْ غَدًا عِنْدَ الله مَنْزِلَةً وَفَضِيلَةً، وأَكْرَمِ أَنْبِيَاءِ الله الْكِرَامِ الصَّفْوَةِ علَى الله، وَأَحبِّهِمْ إِلَى الله، وَأَقْرَبِهِمْ زُلْفَى لَدَى الله، وَأَكْرَمِ الخَلْقِ علَى الله وَأَحْظاهُمْ وَأَرْضاهُمْ لَدي الله، وَأَعْلَى النَّاسِ قَدْرًا، وَأَعْظَمِهِمْ مَحَلًّا، وَأَكْمَلِهِمْ مَحاسِنًا وَفَضْلاً، وأَفْضَلِ الأَنْبِيَاءِ دَرَجَةً، وأَكْمَلِهِمْ شَرِيعَةً، وَأَشْرَفِ الأَنْبِيَاءِ نِصابًا، وَأَبْيَنِهِمْ بَيانًا وَخِطَابًا وَأَفْضَلِهِمْ مَوْلِدًا وَمُهاجَرًا، وَعِتْرَةً وَأَصْحابًا، وَأَكْرَمِ النَّاسِ أَرُومَةً، وَأَشْرَفِهِمْ جُرْثُومَةً وَخَيْرِهِمْ نَفْسًا، وَأَطْهَرِهِمْ قَلْبًا،

وَأَصْدَقِهِمْ قَوْلاً، وَأَزْكَاهُمْ فِعْلاً، وَأَثْبَتِهِمْ أَصْلاً، وَأَوْفاهُمْ عَهْدًا، وَأَمْكَنِهِمْ مَجْدًا، وَأَكْرَمِهِمْ طَبْعًا، وَأَحْسَنِهِمْ صُنْعًا، وَأَطْيَبِهِمْ فَرْعًا، وَأَكْثَرِهِمْ طَاعَةً وَسَمْعًا، وَأَعْلاَهُمْ مَقَامًا، وَأَحْلاَهُمْ كَلاَمًا وَأَزْكاهُمْ سَلاَمًا، وَأَجَلِّهِمْ قَدْرًا، وَأَعْظَمِهِمْ فَخْرًا، وَأَسْناهُمْ فَخْرَا، وَأَرْفَعِهِمْ فِي الْمَلَإِ الأَعْلَى ذِكْرًا، وَأَوْفاهُمْ عَهْدًا، وَأَصْدَقِهِمْ وَعْدًا، وَأَكْثَرِهِمْ شُكْرًا، وَأَعْلاَهُمْ أَمْرًا، وَأَجْمَلِهِمْ صَبْرًا، وَأَحْسَنِهِمْ خَيْرًا وَأَقْرَبِهِمْ يُسْرًا، وَأَبْعَدِهِمْ مَكَانًا، وَأَعْظَمِهِمْ شَانًا، وَأَثْبَتِهِمْ بُرْهَانًا، وَأَرْجَحِهِمْ مِيزَانًا، وَأَوَّلِهِمْ إِيمَانًا وَأَوْضَحِهِمْ بَيَانًا، وَأَفْصَحِهِمْ لِسَانًا، وَأَظْهَرِهِمْ سُلْطَانًا.

(اللهُمَّ أَلْحِقْنِي)

(بِنَسَبِهِ)

الديني بدوامه وبقائه والموت على ملته والجسدي كسلمان الفارسي بكثرة حبنا له ومداومة الصلاة عليه بصلاة ابن مشيش هذه وما يأتي في المستقبل من جوامع الصلوات كما في زماننا هذا مجموع في "دلائل الخيرات" للجزولي و"أفضل الصلوات على سيد السادات" للنبهاني رحمهما الله تعالى.

(وَحَقِّقْنِي) (بِحَسَبِهِ)

بالكمال في النسب الديني بالتخلق بأخلاقه والاهتداء بهديه والاقتفاء بكتابه وسنته من أقوال وأفعال وأحوال وتفكر وزهد لنصل للرحمة والفلاح بالفوز الأبدي وأعلى الدرجات وحب الله تعالى. والكمال في النسب الجسدي فنحسب عليه بخدمته وأهل بيته وحبهم ومعاشرتهم والتعبد والتبتل لله معهم.

(وَعَرِّفْنِي إِيَّاهُ مَعْرِفَةً)

تامة لأنه المرآة الكبرى للتجلي والواسطة العظمى في التعريف للعالم العلوي والسفلي فمعرفته موصلة إلى معرفة الله تعالى وعلى حسب معرفته تكون معرفة الله تعالى إذ هو باب الله الأعظم ومدينة العلم التي جد المؤلف الإمام علي - كرم الله وجهه - بابها.

(أَسْلَمُ بِهَا مِنْ مَوَارِدِ الْجَهْلِ)
(وَأَكْرَعُ بِهَا مِنْ مَوَارِدِ الْفَضْلِ)

(وَاحْمِلْنِي)

أي سأل أن يكون محمولا لا حاملا فلا يصل إلى رسول الله إلا برسول الله ولا يصل إلى الله إلا بهداية رسوله بالله بدون أغيار من عمل وفقر إلخ. قال سيدي أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه سألني أستاذي فقال: يا أبا الحسن بما تلقى الله؟ فقلت: بفقري فقال لئن لقيت الله بفقرك لتلقينه بالصنم الأعظم وإنما يلقى الله به سبحانه لا بشيء سواه.

(عَلَى سَبِيلِهِ)
(إِلَى حَضْرَتِكَ)
(حَمْلاً مَحْفُوفاً بِنُصْرَتِكَ)
(وَاقْذِفْ بِي عَلَى)

(الْبَاطِلِ فَأَدْمَغَهُ)

ألا ما خلا الله باطل. كن ممن لا تشغله المحبة عن المحبوب ولا الصفة عن الموصوف ولا المعرفة عن المعروف.

(وزُجَّ بِي فِي بِحَارِ الأَحَدِيَّةِ)

الأحدية أبلغ من الوحدة. حال أهل الجذب المستدلين بالله على الأشياء.

(وَانشُلْنِي مِنْ أَوْحَالِ التَّوْحِيدِ)، ما يعرض للسالكين المستدلين على الله بالأشياء من الشبهات. وهو تأدب منه في سؤال خوض بحار الأحدية واحتراز عما عرض من الاعتقادات الردية لمن لم يصحبه التأييد عند ركوب ذلك البحر حيث "لا عاصم من أمر الله إلا من رحم".

(وَأَغْرِقْنِي فِي عَيْنِ بَحْرِ الْوَحْدَةِ)

رجوع إلى سؤال البقاء بعد الفناء ليصلح للخلافة.

(حَتَّى لاَ أَرَى وَلاَ أَسْمَعَ وَلاَ أَجِدَ وَلاَ أَحِسَّ إِلاَّ بِهَا)

هذا غاية الإغراق في الغيبة عن الأكوان بشهود المكون وحينئذ يدوم سروره وأنسه ويصير في جنة معجلة.

(وَاجْعَلِ الْحِجَابَ الْأَعْظَمَ)

(حَيَاةَ رُوحِي)

أشار إلى أن العارف لا غنى له عن واسطة النبي صلى الله عليه وآله وسلم أي الواسطة إلى مقصد الوصول لله "وأن إلى الله المنتهى" وهو بحاجة الهداية والإمداد وإن وصل إلى حضرة القدس وفني عن وجوده في هيبة شهوده وعن فنائه وعن كل شيء ومنه يفهم قول القطب أبي العباس المرسي لو احتجب عني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم طرفة عين ما عددت نفسي من المسلمين، وكذا خلاصة رسالة الحلبي الشهيرة في أن النبي لا يخلو منه زمان ولا مكان في الحس والمعنى والفكر والعادات والعبادات والمنجيات والتعوذ من المهلكات.

(وَرُوحَهُ)

(سِرَّ حَقِيقَتِي)

حقيقة الإنسان: اللطيفة الربانية التي كان بها الإنسان إنسانا وتسمى نفسا في مقام الإسلام وقلبا في مقام الإحسان وروحا في أول مراتب الإحسان وهى المراقبة وسرا في ثانيها وهى الشاهدة وباطنا إن أشكل الأمر، فطلب ابن مشيش أن تصير حقيقته سرا في مقام المشاهدة بواسطة شهود روح النبي ﷺ فتخرج عن كونها نفسا وقلبا وروحا، أي اجعل شهود روحي تنقل سر حقيقتي بأن تصير حقيقتي سرا بواسطة هذا الشهود.

(وَحَقِيقَتَهُ)

(جَامِعَ عَوَالِمِي)

العوالم: النفس والقلب والروح والسر. سأل أن تكون كلها منصرفة

ومتوجهة إلى شهود حقيقة النبي الصادقة بعوالمه الشريفة أي اجعل شهود حقيقته جامعا لعوالمي.

(بِتَحْقِيقِ الْحَقِّ الأَوَّلِ)

أي معينا لي على شهوده الآن في عالم الأجساد بأن تحضر قلبي الشهود السابق في عالم الأرواح يوم﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ﴾[1] حتى أستحضره وأستعين به على الدوام. فلا تكون الواسطة القصد بل موسوطها وهو الوصول لله هو القصد في صحبة الواسطة العظمى ﷺ.

(يَا أَوَّلُ)

السابق على كل شيء لقدمه "كان الله ولا شيء معه" وهو الآن على ما عليه كان.

(يَا آخِرُ)

الباقي الذي يستحيل عدمه "كل شيء هالك إلا وجهه"[2].

(يَا ظَاهِرُ)

الواضح الربوبية بالدلائل يدل الله عليها لأناس وتدل علي الله لآخرين.

(يَا بَاطِنُ)

المحتجب عن الأفهام الذي لا يحيط به تكييف فما وصل إليه العقلاء حتى العارفون من ظهوره ومعرفة جلاله وجماله ما هو إلا قليل إذا قورن بما خفي.

(اسْمَعْ نِدَائِي)

أي سماع قبول وإجابة. وأراد طلب الوارث لسره حتى ينتفع به إخوانه من المؤمنين.

---

(1) الأعراف: 172.

(2) القصص 88.

(بِمَا سَمِعْتَ بِهِ نِدَاءَ عَبْدِكَ زَكَرِيَّا)

حيث طلب الوارث.

(وَانْصُرْنِي بِكَ لَكَ)

طلب أن ينصره الله بالله إلى الله لا على أيدي الوسائط والأسباب غير الواسطة العظمى. فيكون الله لك فلا يفوتك شيء بدلا من طلب تسخير خلقه لك. فتكون نصرته لك بالقيام بحقوقه وخدمته لا لحظوظ نفسك بل لعبادته لنشر دينه "لتعزروه وتوقروه وتسبحوه بكرة وأصيلا".

(وَأَيِّدْنِي بِكَ لَكَ)

طلب قوة اليقين وجوهر التوحيد عند نزول المرادات القهرية وحصول الروح والرضا حتى تصير البلية عطية. اللهم وما قدرت من شيء فأيدنا كما أيدهم.

(وَاجْمَعْ بَيْنِي وَبَيْنَكَ)

أدم لي الجمع وهو استغراق العبد في نور الشهود. وأصحاب هذا الاستغراق الدائم هم في نعيم مقيم وجنة معجلة لا تعتريهم هموم ولا تطوقهم أحزان ولا غموم.

(وَحُلْ)

أدم الحيلولة.

(بَيْنِي وَبَيْنَ غَيْرِكَ)

قال ابن عطاء الله في لطائف المنن: اعلم أن الحق سبحانه إذا تولى وليا صان قلبه عن الأغيار وحرسه بدوام الأنور... إذا كان سبحانه قد حرس السماء بالكواكب كي لا يسترق منها السمع فقلب المؤمن أولى لقول الله سبحانه فيما يحكيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم "لم تسعني أرضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي المؤمن".

(الله. الله. الله.)

ختم الكلام بما بدأ به من الاسم الجامع إشارة إلى أن البدء منه والرجوع إليه وكرر تبركا وتلذذا واستفتاحا بالذكر كما قال الجنيد ذاكر هذا الاسم ذاهب عن نفسه متصل بربه كما يتلمح من قوله ﴿ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ﴾[1]، وفي صحيح مسلم: "لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض الله الله". الأنعام ﴿ قُلِ ٱللَّهُۖ ثُمَّ ذَرۡهُمۡ فِي خَوۡضِهِمۡ يَلۡعَبُونَ ﴾[2].

﴿ إِنَّ ٱلَّذِي فَرَضَ عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٖ ﴾[3].

الخطاب للنبي صلى الله عليه وآله وسلم أي الذي أوجب عليك تلاوته وتبليغه والعمل به لمثيبك ورادك لميعاد خاص بك ليس لغيرك من البشر.

﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةٗ وَهَيِّئۡ لَنَا مِنۡ أَمۡرِنَا رَشَدٗا ﴾[4].

دعاء أهل الكهف حين إيوائهم إلى الله وانقطاعهم عن بلادهم وأموالهم وعشائرهم لما حصل لهم من الأنس بالله. والشيخ وقع بالآية على نبذ جميع الأغيار واطراح كل ما سوى الرب الواحد القهار طالبا أن تهب عليه نفحات الرحمة من ربه وأن يكون أمره كله رشدا وخيرا وأن يكون له حظ من حال أهل الكهف في الخفاء عن الأضداد والأغيار طلبا لاعتناء من الحق كما حصل لهم وإعزاز من الحق كما حصل لهم.

﴿إِنَّ اللَّـهَ وَمَلائِكَتَهُ﴾

إن الله مع ما هو عليه من صفات الكمال ونعوت الجمال والجلال وملائكته الذين هم عباد مكرمون لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون.

(1) الأنفال: 24.

(2) الأنعام: 91.

(3) القصص: 85.

(4) الكهف: 10.

﴿يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾

يصلون على النبي أي يعتنون بإظهار شرفه وتعظيم شأنه.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾

خطاب وجوب لجميع الأمة إلى يوم الدين وعمومه بالشرع مع اللغة.

﴿صَلُّوا عَلَيْهِ﴾

عظموا سيد ولد آدم فخرا وامدحوه واثنوا عليه وآله كمدح إبراهيم وآل إبراهيم وادعوا له بالمقام المحمود والوسيلة على قدر استطاعتكم وجهدكم. وكما دبج سيدي ابن مشيش من براعة الاستهلال بالله فقد ختم ببراعة الختام بذكر آية القرآن حيث صلاة الله وملائكته وأمر الله بالصلاة على النبي وتفصيل ذلك أنه لما كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هو واسطة العقد في هذا العالم وعروس المملكة وصاحب مرتبة التمام ومسك الختام أشار سيدي ابن مشيش بأمر الله تعالى بالصلاة على النبي في العالم العلوي عند الملائكة وفى العالم السفلي عند المكثرين الصلاة عليه من المحبين ليمتلئ الكون من ذكره حتى يكون سيدي ابن مشيش والمصلين معه والكون خادما ومسخرا للنبي ﷺ لكونه الرئيس وكونه هادي الخلق كافة.

﴿وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾

السلام عليه في الصلوات المفروضات والنوافل - جلبا لحب الله - وصلوا عليه في الخلوات وبروضته عند الزيارات من غير أي جفاء طويل أو قصير.

(اللهُمَّ صَلِّ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ)

آل الرجل من يؤول أمرهم إليه بنسب ودين.

(وَصَحْبِهِ)

هو اسم جمع صاحب بمعنى صحابي وهو من اجتمع مؤمنا بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم وإن لم يره وإن لم يرو عنه وإن لم تطل صحبته له بشرط عدم الارتداد بعده.

(وَسَلِّمْ تَسْلِيماً[1])

(صَلَوَاتُ اللهِ)

وَسَلَامُهُ وَتَحِيَّاتِهِ وَرَحْمَتُهُ وَبَرَكَاتُهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَنَبِيِّكَ وَرَسُولِكَ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ عَدَدَ الشَّفْعِ وَالْوَتْرِ وَعَدَدَ كَلِمَاتِ رَبِّنَا التَّامَّاتِ الْمُبَارَكَاتِ.

﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ﴾

تنزيها له عما لا يليق من النقائص وشبهات البشر.

﴿رَبِّ الْعِزَّةِ﴾

الموصوف بالغلبة والقهر.

﴿عَمَّا يَصِفُونَ﴾

من النقص مما ورد من اتهامات كاذبة بالقرآن أو أقوال المشركين والحشوية والمجسمة.

﴿وَسَلَامٌ﴾

سلامة وفخر وشرف.

(1) وهذه الصيغة مأخوذة من حزب سيدي أبي الحسن الشاذلي تقرأ قبل الآية التالية بمجالس دلائل الخيرات وغيرها وهي زائدة على صيغة ابن مشيش رضي الله عنهما والله أعلم.

﴿عَلَى الْمُرْسَلِينَ﴾

المبلغين للشرائع العابدين والواصفين له تعالى بما هو أهله ومن استشهد من أجل تبليغ وحماية رسالتهم وورثتهم من العلماء العاملين.

﴿وَالْحَمْدُ﴾

كل ثناء جميل يستحقه على الحقيقة.

﴿لِلهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[1]

خالقهم ومالكهم

تم بفضل الله المحض

من رسالة شرح الصلاة المشيشية للعلامة

الطيب عبد المجيد ابن كيران

(1) الصافات: 180 - 182

ثبت المصادر والمراجع

القرآن الكريم برواية ورش

الحديث الشريف

- **المطبوعات:**

- حرف الألف -

- أبو إسحاق النيسابوري، الكشف والبيان، دار إحياء التراث العربي، تح: الإمام أبي محمد بن عاشور، بيروت، ط1، 2002.
- أحمد بن خالد الناصري، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تح:جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، ط1997.

- حرف الباء -

- أبو بكر البيهقي، السنن الكبرى وفي ذيله الجوهر النقي، مجلس دائرة المعارف النظامية الكائنة، حيدر آباد، (د ت ط).
- أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفومي، كتاب الكليات، معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تح: عدنان درويش - محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، د ط، 1419هـ - 1998م.

- حرف الجيم -

- أبي جعفر أحمد بن علي البلوي الوادي آشي، ثبت أبي جعفر أحمد بن علي البلوي الوادي أشي، تح: عبد الله العمراني، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1403هـ.
- جمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف بن هشام الأنصاري، مغني

اللبيب عن كتب الأعاريب، تح: مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، دار الفكر، بيروت. ط6، 1985.

- حرف الحاء -

- ابن حجر، إطراف المُسْنِد المعتَلِي بأطراف المسنَد الحنبلي، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، بيروت.
- ابن حديدة الأنصاري، المصباح المضيء في كتاب النبي الأمي ورسله إلى ملوك الأرض من عربي وعجمي، تح: محمد عظيم الدين، عالم الكتب، بيروت.

- حرف الخاء -

- الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، تح: الشيخ بهيج غزاوي، دار إحياء العلوم، بيروت، ط1998.
- خير الدين الزركلي، الأعلام، دار الفكر، القاهرة، ط2، 1959.

- حرف السين -

- ابن سالم النفراوي، الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني، تح: رضا فرحات، مكتبة الثقافة الدينية، المدينة.

- حرف الشين -

- شمس الدين الحنبلي، لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية، مؤسسة الخافقين ومكتبتها، دمشق، ط2، 1982، ج1.

- حرف الصاد -

- صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان، إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط3، 2002.

- حرف العين -

- عبد الحي الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تح: عبد القادر الأرناؤوط، محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق، ط1406هـ.

- حرف القاف -

- أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت: 538هـ)، الكشاف، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1995.
- أبو القاسم الزياني، الترجمانة الكبرى في أخبار المعمور برا وبحرا، تح: عبد الكريم الفيلالي، المحمدية، ط1، 1967.
- أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، المعجم الأوسط، تح: طارق بن عوض الله بن محمد عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين - القاهرة، ط1415.

- حرف الكاف -

- ابن كثير، البداية والنهاية، تح: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1988.

- حرف الميم -

- محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت 1393هـ)، التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ط1، 1420هـ/ 2000م.
- محمد بن جعفر الكتاني، سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس، دار الثقافة، ط1، 2006.
- محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني مرتضى الزَّبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق مجموعة من المحققين، دار الهداية.
- محمد بن شاكر الكتبي، فوات الوفيات، تح: إحسان عباس، دار صادر،

بيروت، ط 1973.

- محمد بن مالك، إيجاز التعريف في علم التصريف، تح: محمد المهدي عبد الحي عمار سالم، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط1، 2002.

- محمد داود، تاريخ تطوان، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس الرباط، المطبعة المهدية، تطوان.

- مصطفى الحكيم، الرؤية الصوفية عند الشيخ الطيب عبد المجيد بن كيران معالم وحقائق، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1. 2007.

- محمد عبد السلام خضر الشقيري، السنن والمبتدعات المتعلقة بالأذكار والصلوات، تح: محمد خليل هراس، دار الفكر، بيروت.

- حرف النون -

- النجم الغزي، الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة، تح: جبرائيل جبور، بيروت.

- حرف الياء -

- اليوسي، زهر الأكم في الأمثال والحكم، بتحقيق. محمد حجي: عميد كلية الآداب في الرباط، ود. محمد الأخضر. الدار البيضاء سنة 1401هـ 1981.

- **المخطوطات:**

أبو راس الناصر المعسكري، فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته، خ.ع 2263ك.

أبو حامد العربي المشرفي، الحسام المشرفي، خ.ع2276.

عبد الرحمن بن زيدان، الدرر الفاخرة بمآثر الملوك العلويين بفاس الزاهرة، مخطوط بالخزانة الحسنية بالرباط، تحت رقم:1772، و:60.

محمد المدني بن جلون، ترجمة الشيخ ابن الطيب عبد المجيد بن كيران، خ.ع 1854د.

فهارس المخطوطات

فهرس المخطوطات في دار الكتب الوطنية التونسية ج32/2.

فهرس الكتب العربية الموجودة بدار الكتب المصريةج171/2.

فهرس مخطوطات مكتبة الحرم النبوي ص: 476.

فهرس المخطوطات الموجودة بالمكتبة المركزية بجامعة الملك عبد العزيز، ج9/ 347.

فهرس المخطوطات العربية المحفوظة في الخزانة العامة برباط الفتح (المغرب الأقصى) 351/1 من القسم الثاني.

فهرس المحتويات

RISĀLAH NAḤWIYYAH FĪ «LAW» AL-ŠARṬIYYAH

by

Al-šayḫ al-Ṭayyib ʿAbdul-Majīd ben Kīrān

Edited by

Bouslah Faiza

دار الكتب العلمية

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah

DKi

أسسها محمد علي بيضون سنة 1971 بيروت - لبنان

Est. by Mohammad Ali Baydoun 1971 Beirut - Lebanon

Établie par Mohamad Ali Baydoun 1971 Beyrouth - Liban